أثر بعض العلوم الحديثة على عقيدة القدر

إعداد

د/ محمود يسري سيد عبد الغفار

المدرس بقسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

أثر بعض العلوم الحديثة على عقيدة القدر

د/ محمود يسري سيد عبد الغفار
قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: MahmudAbdelghaffar331@azhar.edu.eg

يهدف هذا البحث إلى رصد أثر بعض العلوم الحديثة –كعلم النفس والمخ والأعصاب والجينات– على عقيدة القدر، لا سيما مسألة: حرية الإرادة؛ حيث تعالت الأصوات الغربية التي تنادي بالجبر بموجب هذه العلوم، فهل يَسْلَمُ لهم ذلك أو يصح؟ هذا ما تجيب عنه هذه الورقات؛ وذلك من خلال مبحثين، نستعرض في الأول منهما: مقدمات ضرورية في مسألة حرية الإرادة الإنسانية، وفي الثاني: بيان لأهم العلوم التي استند إليها الفلاسفة الغربيون في القول بالجبر، ثم تحليل ذلك ومناقشته والرد عليه، وقد اتبع الباحث المنهج (الوصفي والتحليلي)؛ حيث استعرض مسألة حرية الإرادة بشكل يسير مختصر وفق تقريرات أئمة أهل السنة في المبحث الأول، ثم أردف ذلك ببيان ما قررته بعض العلوم الحديثة –كعلم النفس والمخ والأعصاب والجينات–؟، وكيف تسنى لمفكري الغرب أن ينتزعوا القول بالجبر من مقررات هذه العلوم؟، ثم انتهى إلى مناقشة هذه الأقوال والرد عليها، وقد خلص الباحث إلى أن أرباب هذه العلوم الحديثة ليسوا على كلمة سواء فيما ذهبوا إليه؛ فما يقرره البعض ينقضه البعض الآخر، وبالتالي فإن انتزاع القول بالجبر من هذه العلوم غير مسلَّم به، وأنه يوجد في طي هذه العلوم ما ينقض القول بالجبر رأساً، وأن هذا الموقف الغربي القائل بالجبر مثير للدهشة؛ لأن الغربيين كانوا يوماً ما يعزون تأخر الشرق والمسلمين إلى قولهم بالجبر، فإذا بهم اليوم –مع تقدمهم ورقيهم– يتبنون القول بالجبر ويدعمونه بمقررات علومهم.

الكلمات المفتاحية: حرية – الإرادة – عقيدة القدر– العلوم الحديثة – علم النفس – علم المخ والأعصاب– علم الجينات.

The impact of some modern sciences on the doctrine of fate

MAHMOUD YOSRI SAYYED ABDELGHAFFAR
Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Dawa, Al-Azhar University, Cairo, Egypt
E-mail: MahmudAbdelghaffar331@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to monitor the impact of modern sciences such as psychology, brain, neuroscience and genetics on the doctrine of destiny, especially the issue of free will. And that through two topics; In one of them, we review the necessary premises on the issue of freedom of the will, and in the second: a statement of the most important sciences on which Westerners relied in claiming algebra and responding to that. As for the method followed in this research, it is (critical-analytical descriptive), where we review the issue of freedom of will in an easy and brief manner according to the reports of the Sunnis in the first section, then we show in the second section how modern sciences such as psychology, brain, neuroscience and genetics, and how Western thinkers were able to They extract the

statement of algebra from the decisions of these sciences, and then we end up discussing these statements and responding to them. The researcher concluded a set of results; The first is that the masters of these modern sciences are not on the same word in their decisions, so what some decide is contradicted by others, and therefore extracting the saying of algebra from these sciences is not correct. The second of these results: that in these sciences there is nothing that contradicts the statement of algebra directly. And the third of these results: that this Western position that says algebra is surprising in terms of the most important of them: that they once attributed the delay of the East and the Muslims to their saying of algebra, so today, with their progress and advancement, they adopt the saying of algebra and support it with the decisions of science!

Keywords: Freedom – Will – Doctrine of Destiny – Modern Sciences – Psychology – Neuroscience – Genetics.

المقدمة

الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، أما بعد:

فلا يخفى أن العلوم الطبيعية الحديثة تخطوا خطوات واسعة، ومع كل خطوة تخطوها هذه العلوم تتأثر الفلسفة وتتبدل الأفكار والمعتقدات؛ وواحد من أهم تلك القضايا الفلسفية التي تأثرت بخطوات العلم الواسعة قضية (حرية الإرادة الإنسانية).

ولا شك أن الوقوف على منجزات العلم ورصد آثارها على المسائل العقدية قد بات أمرا ضروريا يفرضه الواقع؛ لا سيما في عصر التقنية والتواصل، كما تفرضه الديانة؛ رغبة في تحصين أجيال المسلمين وصيانتهم من الزيغ والانحراف.

وهذا البحث يهدف إلى:

رصد أثر بعض العلوم الحديثة –كعلم النفس، والمخ والأعصاب، والجينات– على عقيدة القدر، لا سيما مسألة حرية الإرادة الإنسانية؛ حيث تعالت الأصوات الغربية التي تنادي بالجبر بموجب هذه العلوم، فهل يسلم لهم ذلك أو يصح؟ هذا ما تجيب عنه هذه الورقات، وذلك من خلال مبحثين؛ نستعرض في الأول منهما: تحرير القول في مسألة حرية الإرادة الإنسانية، وفي الثاني: بيان لأهم العلوم التي استند إليها الفلاسفة الغربيون في القول بالجبر، ثم تحليل ذلك، ومناقشته.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو:

المنهج (الوصفي والتحليلي)؛ حيث يتم استعراض مسألة حرية الإرادة الإنسانية بشكل يسير مختصر وفق تقريرات أئمة أهل السنة في المبحث الأول، ثم يأتي بعد ذلك بيان ما أفصحت عنه بعض العلوم الحديثة -كعلم النفس والمخ والأعصاب والجينات-؟، وكيف تسنى لمفكري الغرب أن ينتزعوا القول بالجبر من مقررات هذه العلوم؟، ثم ينتهي المبحث بمناقشة ذلك، ونقده، والرد عليه.

أما الدراسات السابقة:

فلا شك أن مسألة القدر من المسائل التي تم بحثها بشكل واسع[1]؛ ولا عجب؛ إذ كانت من أوائل المسائل التي تسببت في تفرق الأمة الإسلامية، أما عن تناول هذه المسألة من زاوية تأثرها ببعض العلوم الحديثة، فلم أقف -في حدود علمي القاصر- على من نهض له، اللهم إلا نُتَفاً يسيرة في مقالات مسطورة ومقاطع مصورة على الشبكة العنكبوتية، وهو الأمر الذي دفعني إلى طرح هذه الفكرة في هذا الورقات اليسيرة.

(١) من الدراسات السابقة: رسالة دكتوراه بعنوان: شبهات المستشرقين حول القضاء والقدر عرض ونقد- للباحث: مالك محمود فرج سيد احمد - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، عام ٢٠٠٧م، ورسالة ماجستير بعنوان: دراسة وتحقيق الجزء التاسع فى القضاء والقدر من كتاب المطالب العالية للامام فخر الدين الرازى- للباحثة: نادية عبد الهادى عبد السلام- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

التعريف بمفردات عنوان البحث :

أولاً: تعريف القدر

اختلف السادة الأشاعرة والماتريدية في تعريف القدر؛ «فقالت الأشاعرة: هو إيجاد الله الأشياء على طبق ما سبق به علمه وإرادته، بينما قالت الماتريدية: هو تحديده تعالى أزلا كل مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك»(١).

فعلى التعريف الأول يكون القدر صفة فعل حادثة، وأما على تعريف الماتريدية فهو تعلق العلم والإرادة، ومن ثم فهو قديم.

على أنه يمكن الجمع بين القولين باعتبار أن الخلاف لفظي؛ لأن الأول نظر إلى جهة الإيجاد، والثاني نظر إلى جهة مُتَعَلَّقِ العلم والإرادة، وبناء عليه يمكن وضع تعريف جامع لكلا القولين وهو: «إيجاد الله للأشياء على طبق العلم والإرادة»(٢).

ومسائل القدر متعددة متشعبة، بيد أن المراد في هذا البحث بيان إمكانية التوفيق بين عموم مشيئة الرب وخلقه من جانب، وفعل العبد ومسؤوليته من جانب آخر، وبيان هل للعلوم الحديثة من أثر على تلك المعاني أو لا؟

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد -إبراهيم الباجوري - ص ١٢٧– ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد –أحمد محمد الصاوي- تحقيق: عبد الفتاح البزم- ص ٢٥٥ –ط٢: دار ابن كثير، ١٩٩٩م.

ثانياً: التعريف بالعلوم الحديثة

العلوم التي تم تناول آثرها على عقيدة القدر في هذه الدراسة ثلاثة؛ هي: علم النفس، وعلم المخ والإعصاب، وعلم الجينات، وإليك تعريف مختصر لكل منها:

١- التعريف بعلم النفس

علم النفس هو«ذلك العلم الذي يبحث عن القواعد الأصلية لحياة العقل وعملياته وصورها ومظاهرها المتعددة، أو هو: علم دراسة حوادث النفس، وقيل هو: علم دراسة السلوك البشري»(١).

أو هو: «العلم الذي يتخذ من السلوك ومن مكونات النفس وما يعتمد بداخلها وما تشتمل عليه، موضوعا لدراسته العلمية»(٢).

لقد بلغ من براعة الإنسان أنه لم يقتصر على وضع العلوم المتعلقة بوظائف الأعضاء فحسب، بل وضع علم النفس أيضاً؛ ليدرس وظائف النفس البشرية وحوادثها وسلوكياتها، والمقصود في دراستنا هذه الوقوف على ما توصل إليه علم النفس مما له تعلق بحرية الإراد الإنسانية.

٢- التعريف بعلم المخ والأعصاب

أما علم المخ فهو: ذلك العلم الذي يبحث في أجزاء المخ وتركيبه، ووظائفه، وكيفيات ارتباطه بالحواس وبالجهاز العصبي(٣).

---

(١) معجم مصطلحات علم النفس –منير وهبة الخازن – ص١١١- ط: دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٦م

(٢) معجم علم النفس والتحليل النفسي– فرج عبد القادر طه وآخرون – ص٣٠٨ –ط١: دار النهضة العربية، بيروت. للوقوف على تاريخ علم النفس وكونه أحد العلوم الحديثة انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه –محمد شحاتة ربيع – ص١٨- ط١: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٣) هذا التعريف من وضع الباحث بعد النظر في فهرس كتاب: المخ البشري – كرستين تمبل – ترجمة: عاطف أحمد – ط: مطابع السياسة الكويت ٢٠٠٢م.

وقد تطورت البحث في هذا العلم حتى أطلق عليه اسم: المخ الجديد، و«إذا نظرنا إلى المخ الجديد وجدناه على النقيض من المخ القديم؛ إذا أصبح من الممكن دراسته واستكشافه باستخدام الوسائل الحديثة، وتظهر تلك الوسائل تفاصيل دقيقة عن آداء المخ لم تكن متوفرة من قبل، لقد أصبحنا قادرين على دراسة عمليات المخ أثناء حدوثها بالفعل؛ عندما نفكر أو نؤدي اختبارا للذكاء أو نمارس مهنة أو مهارة معينة أو نمر بخبرة انفعالية»(١).

أما علم الأعصاب «فيدرس تأثيرات أمراض الجملة العصبية –بما فيها الدماغ والحبل الشوكي والمخيخ والأعصاب والعضلات– في سلوك الإنسان، فطبيب الأعصاب يفحص وظائف معينة، بهدف تحديد موقع الاضطرابات من الجملة العصبية»(٢).

ومهما يكن الأمر فإن المراد في بحثنا هو الوقوف على أثر هذين العلمين على عقيدة القدر، من حيث الإجابة عن تساؤل: هل الإنسان يقع أسيرا في تصرفه للمخ والأعصاب وبالتالي يكون مسلوب الإرادة مجبورا أو لا؟

٣- التعريف بعلم الجينات

يقصد بعلم الجينات: «علم دراسة الموروثات والصفات الوراثية التي تنتقل من الأباء للأبناء، كما يدرس تباين الأنواع واختلاف صفاتهم

(١) المخ الجديد– ريستاك ريتشارد- ترجمة: عزة هاشم أحمد– ص١١- ط: مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٠م.

(٢) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق– رسل لوف، ووندا ويب– ترجمة: محمد زياد كبة- ص ١١- ط: النشر العلمي والمطابع، السعودية، ٢٠١٠م. معجم علم النفس والتحليل النفسي ص ٣٠٧

نتيجة اختلاف المادة الوراثية، وهذا العلم لا يختص بالإنسان فقط، فالشيء نفسه ينطبق على كل الكائنات الحية، وقد ظل الإنسان ولمئات السنين يجهل كيفية انتقال المعلومات الوراثية من جيل إلى آخر، ونحن ندين بمعرفتنا للوراثة للنمساوي (جريجور مندل) وتجاربه مؤسس علم الوراثة الحديث، والمولود في ١٨٢٢ والمتوفى في ١٨٨٤م»[١].

والمراد دراسة أثر الجينات في سلوك الإنسان، وهل يمكننا أن ننتزع من هذا التأثير القول بالجبر أو لا؟

خطة البحث :

سيجري العمل في هذا البحث وفق المخطط التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، والتعريف بمفردات العنوان، وخطة البحث.

المبحث الأول: تحرير القول في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب هي:

- **المطلب الأول:** بيان اختلاف الناس في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.
- **المطلب الثاني:** أعدل الأقوال في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.
- **المطلب الثالث:** نظرة تحليلية حول نصوص القدر في القرآن الكريم.

---

(١) DNA وأسرار لا تنتهي – آن فولك- ترجمة: حمزة الشبكة- ص١٤ - ط: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١١م، وللتعرف على رحلة هذا العلم من العصور القديمة إلى الآن انظر كتاب: مقدمة عن الجينات والحمض النووي- آنا كلايبورن- ترجمة د. ليلي سعدو- ط١: نهضة مصر، ٢٠٠٧م.

المبحث الثاني: حرية الإرادة الإنسانية في ضوء العلوم الحديثة.

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: أبرز العلوم الحديثة المؤثرة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.
- المطلب الثاني: مناقشة ما انتهت إليه بعض العلوم الحديثة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس.

المبحث الأول

تحرير القول في مسألة

حرية الإرادة الإنسانية

المبحث الأول

تحرير القول في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

توطئة:

لا يخفى أن الحديث عن مسألة القدر واسع مبسوط في كتب الاعتقاد، لكن الذي يعني الباحث هنا هو الحديث عن القضية محل الخلاف التي تخص بحثه، والتي كانت سبباً في اختلاف الناس على مدار تاريخهم الفكري والفلسفي، ألا وهي مسألة (حرية الاختيار، أو الإرادة الحرة، أو عمل إرادة الإنسان في إطار عموم إرادة الرب جل وعلا)، كلها عبارات –وإن اختلفت– تدل على معنى واحد، هذا المعنى هو نقطة البحث ومحل النزاع الأكبر في مسألة القدر.

وتحرير القول في مسألة الحرية الإرادة الإنسانية ضروري قبل النظر في معطيات العلم الحديث؛ لأن هذا التحرير يمثل للباحث المرجع والحاكم الذي يرجع ويحتكم إليه في هذه المسألة.

وإذا كانت معطيات العلم الحديث تقتضي تعميمات فلسفية ما بشأن مسألة حرية الإرادة، فإن هذه التعميمات منطلقها العلم وحده، ومن ثم لا بد من عرضها على المعطيات الدينية؛ لنرى أيهما أهدى سبيلا وأقوم قيلا؟.

وهذه المقدمات يأتي الحديث عنها من خلال المطالب الثلاثة التالية:

- المطلب الأول: بيان اختلاف الناس في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.
- المطلب الثاني: أعدل الأقوال في مسألة حرية الإرادة الإنسانية.
- المطلب الثالث: نظرة تحليلية حول نصوص القدر في القرآن الكريم.

المطلب الأول

بيان اختلاف الناس في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

اختلف الناس في مسألة حرية الإرادة الإنسانية، وذِكْرُ ذلك مبسوط مطول في كتب العقيدة، وخلاصته: طرفان وواسطة؛ القول بالجبر، والقول بالحرية، والتوسط بينهما.

جاء -في عون المريد عند شرح البيت الثامن والأربعين من جوهرة التوحيد: (وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا *** وَلَمْ يَكُنْ مُؤَثِّراً فَلْتَعْرِفَا) ما نصه-:

«وحاصل هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

مذهب أهل السنة والجماعة وحاصله: أن للعبد في أعماله الاختيارية كسباً، وأنه ليس له إلا ذلك الكسب[1]، فليس هو مجبوراً عليها - كما يقول الجبرية - وليس هو خالقاً لها - كما يقول المعتزلة.

والثاني: مذهب الجبرية، وحاصله أن العبد ليس له شيء في عمله الاختياري، لا خَلْق، ولا إبداع، ولا كسب، بل هو مجبور مقهور على فعله، كريشة في الهواء تقلبها الريح كيف شاءت.

والثالث: مذهب المعتزلة، وحاصله أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرةٍ خلقها الله تعالى فيه، فأما الجبرية فقد أفرطوا، وأما المعتزلة فقد فرطوا، وأما أهل السنة فقد جاء مذهبهم وسطاً، خارجاً من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين»[2].

---

(١) الكسب -كما ذكر العلامة السنوسي في مقدماته - هو: «عبارة عن تعلق القدرة الحادثة في محلها من غير تأثير». أ.هـ من: المواهب اللدنية في شرح المقدمات السنوسية – أبو إسحاق السرقسطي- ص١٠٠- ط١: داركشيدة، مصر، ٢٠١٥م.

(٢) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة – عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني – ١/ ٥٧٨- ط٢: دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩م.

وليس بخاف أن أحد أهم أسباب الضلال في هذه المسألة هو: التمسك ببعض آيات الكتاب دون البعض، أما أهل السنة فقد أعملوا النصوص جميعها وقالوا بمقتضها فجاء مذهبهم وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط(١).

وفي الانتصار لمذهب أهل السنة في التوسط عدد من الوجوه المهمة، التي لا ينبغي أن يغفلها الباحثون عن الحق، أهمها ما يلي:

١ – المقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين.

وهذا يرفع إيهام التناقض بين عموم مشيئة الرب ومشيئة العبد؛ فيقول العلماء: «المقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين؛ فيدخل تحت قدرة الله تعالى بجهة الخلق، والإيجاد، والإمداد، وتحت قدرة العبد في جهة الكسب؛ إذ العبد محلٌّ لظهور قدرة الله تعالى»(٢).

ومن ثم فلا وجه لتوهم التناقض في جمع أهل السنة بين النصوص؛ لأن التناقض إنما يتحقق عند اتحاد الوحدات الثمانية، كما هو معلوم في علم المنطق(٣).

---

(١) للوقوف على أقوال المخالفين في هذه المسألة انظر: شرح الصاوي على الجوهرة ص٢٤٠-٢٤٤.

(٢) عون المريد –م.س- ٥٧٩/١.

(٣) معلوم لمن درس المنطق أن لا بد لتحقق التناقض بين القضيتين من اتحادهما في ثمانية أمور تعرف بالوحدات الثمان)، وهي (الموضوع، والمحمول، والزمان، والمكان، والقوة والفعل، والكل والجزء، والشرط، والإضافة) فلو اختلفتا في اي من هذه الوحداد لم تتناقضا انظر بسط ذلك في: المنطق - محمد رضا المظفر- ص١٦٧ وما بعدها – ط٣: دار التعارف، ٢٠٠٦م.

٢- منح الله الحرية والإرادة للعبد يجعل مشيئة الرب متعدية إلى مشيئة العبد.

فتعلق إرادة الله بأن يكون العبد مريداً يجعل إرادة الله متعدية إلى ما يختار؛ فمنحة الإرادة تدل على أن كل فعل للعبد هو من خلق الله؛ لأن منحة الاختيار منه -تعالى- «ومعنى ذلك: أن إرادة الله تعالى تعلقت بأن تكون مريداً، فَسَرَتْ إرادة الله عز وجل بذلك إلى كل ما تريده وتختاره من الأعمال، وإذن فلا يمكن أن يقع أي تعارض بين إرادة الله تعالى وما تختاره من طريق إرادتك الخاصة»[(١)].

ويضربون لذلك مثالا[(٢)] تقريبيا؛ فيقولون: إذا أعطيت لولدك مالاً، ثم فرضت عليه أن يشتري به شيئا معيَّنا فهو مجبور، أما إذا أعطيته المال، وتركت له حرية أن يشتري ما يشاء، فهو حر مختار، ولكن هذا لا يمنع من أن كل الخيارات مرادة لك؛ لأنك الذي أذنت فيها، ومنحته حرية الاختيار.

٣- إحاطة العلم الإلهي لا تقتضي الجبر؛

فالله -تعالى- عَلِمَ وكتبَ، ثم شاء وخَلَق؛ ولا علاقة للعلم والكتابة بالقسر والجبر؛ يقول (الباجوري)[(٣)] -رحمه الله-: «والثابت أن تعلق العلم

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية – د محمد سعيد البوطي - ص١٥٥- ط٨: دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٧م.

(٢) ومن الأمثلة التوضيحية المضروبة في هذا الباب: أن المسألة تشبه القلم والحبر والقدرة على الكتابة من جانب، والمكتوب من جانب آخر؛ فالله هو الذي يمنح القلم ويزوده بالحبر ويمنح القدرة على الكتابة، والإنسان في النهاية هو الذي يكتب ما يريد؛ قد يكتب كلاما طيبا من نحو التسبيح والتهليل، وقد يكتب كلاما قبيحا من نحو السباب والشتائم، فإذا أنت نسبت المكتوب إلى الله كان باعتبار كونه المزود بالقلم والحبر والقدرة على الكتابة، وإذا نسبته إلى العبد كان باعتبار كونه الكاتب، وبهذا لا تنتفي المسؤولية عن الكاتب؛ لأنه الكاتب، ولا تنتفي الإحاطة عن الخالق؛ لأنه مانح القلم والحبر والقدرة على الكتابة.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: من فقهاء الشافعية، نسبته إلى الباجور من قرى المنوفية، بمصر ولد سنة ١١٩٨هـ، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة أشهرها (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٢٧٧هـ. أ.هـ من: الأعلام - خير الدين الزركلي -٧١/١- ط١٥: دار العلم للملايين.

تعلق انكشاف، وأن العلم يكشف الأمر على ما هو عليه من غير سابق خفاء، **فهو لا يتعلق تعلق إجبار**؛ فالذي تبرزه القدرة إنما هو وفق تخصيص الإرادة، والذي تخصصه الإرادة إنما هو على وفق العلم؛ فقد علم الله أن أبا بكر سيؤمن ولا يعاند، فخصصت الإرادةُ هذا الإيمان على الهيئة التي سيكون عليها وفي الزمن الذي سيظهر به، ثم أبرزت القدرةُ ما خصصته الإرادةُ، فظهر إيمانُه على ما نعرفه، فالعلم تعلق بإيمان أبي بكر تعلق انكشافٍ لا إجبار فيه، كذلك قد علم الله تعالى أن أبا جهل سوف لا يؤمن عنادا وحسدا، فخصصت الإرادة أزلا عدم إيمانه على الهيئة المعروفة، وفي الزمن الذي سيظهر به، ثم أبرزت القدرة هذا العناد على ما عرفناه، فتعلق العلم بكفر أبي جهل تعلق انكشاف لا إجبار فيه»[(١)].

خلاصة المسألة إذن –على نحو ما عبر الإمام (محمد عبده)[(٢)]: «لا شيء في العلم بسالبٍ للتخيير في الكسب»[(٣)]. **فعلم الله لا يتصل بأفعال العباد اتصال تصريف وجبر إنما هو اتصال كشف وبيان.**

٤– حُجُبُ الغيب تبطل احتجاج العبد بالمكتوب.

فلا حجة للعبد فيما كُتِبَ عليه من سعادة أو شقاء؛ لأن حُجُبَ الغيب لم تكشف له حتى يعلم أشقي هو أم سعيد، فالمطلوب منه أن يبني

---

(١) شرح جوهرة التوحيد - العلامة إبراهيم الباجوري – تحقيق: عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني - ص ٢٠٩، وما بعدها – ط: دمشق ١٣٩١.

(٢) هو: محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الاسلام، ولد سنة ١٢٦٦هـ في الغربية بمصر، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهروتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، ولما احتل الانكليز مصر ناوأهم، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالاسكندرية سنة ١٣٢٣ هـ ، و له (تفسير القرآن الكريم - ط) لم يتمه، و (رسالة التوحيد - ط) وغيرها. أ.هـ من: الأعلام- الزركلي -م.س- ٢٥٢/٦.

(٣) رسالة التوحيد – الإمام محمد عبده – تحقيق: د محمد عمارة - ص٦٥- ط١: دارالشروق، مصر، ١٩٩٤م.

موقفه على ما يعلم من عالم الشهادة، والذي يعلمه من عالم الشهادة هو أنه يأتي ويذر دون قهر أو قسر من أحد.

ولذلك حين أراد المشركون أن يتخذوا من سابق علم الله وكتابته حجة لهم في شركهم وأفعالهم، أحالهم الله رب العالمين إلى هذا الجواب، ووبخهم، وقال: لا عِلم لكم بالغيب حتى تحتجون به، وإنما تتبعون التخريص والظنون؛ قال تعالى:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

المطلب الثاني

أعدل الأقوال في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

اعلم أن الوجوه السابقة –وإن كانت مفيدة في ميدان الجدل– فإنها لا تسلم من معارضة ولا تخلو من إيراد(١).

كما أن الخلافات الجسيمة التي حدثت على مر التاريخ البشري في هذه المسألة تقتضينا ألا نظن أن حلها بهذا اليسر وتلك السهولة، وإلا فلماذا قامت رحى الحرب الفكرية على مدار تاريخ الإنسانية في المسألة إذا كانت مثل هذه المقاربات تفي بحلها وتفك إشكالها؟!

وأول ما ينبغي ملاحظته هنا أن القدر من أركان الإيمان؛ وهذا يعني أن جانب التسليم فيه ينبغي أن يكون حاضرا وبقوة، كما هو الشأن في بقية الأركان؛ فكما أن وجود الله –تعالى– وصفاته ووجود الملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر من الأمور الإيمانية التي يلزم التسليم فيها، فإن القدر هو سادس تلك الأمور التي يقع فيها التسليم(٢).

وعليه فلا بد أن نتوقع أن هناك مناطق في تلك المسألة ليس للعقل قدرة على تصورها، ولعل هذا ما جعل القدر سراً من أكبر الأسرار؛

وتلك السرية هي التي جعلته من أصعب المسائل الدينية، ومن أعقد المشاكل الفلسفية؛ وقد شهد بذلك الأئمة المجتهدون والعلماء

---

(١) يُنظر: مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين – محمد عمارة - ص٣٣- ٣٧- ط١: مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٩م.

(٢) وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ». رواه مسلم، برقم: ١٠٢، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

البارزون في سائر الأديان السماوية، وأقر به الفلاسفة والمفكرون في مختلف المذاهب والاتجاهات؛ وإليك طرف من أقوالهم في هذا الباب:

- **فمن أقوال العلماء في بيان صعوبة مسألة القدر ما يلي:**

يقول العلامة (ابن رشد)[1] **-رحمه الله-:** «وهذه المسألة **من أعوص المسائل الشرعية**؛ وذلك لأنه إذا تؤملت دلائل السمع في ذلك وُجدتْ متعارضة، وكذلك حجج العقول»[2].

ويقول الشيخ (مصطفى صبري)[3]**-رحمه الله-:** «في مسألة القضاء والقدر أمران وثالث هو التوفيق بينهما؛

فالأول: عموم سلطة الله على جميع ما كان وما يكون، وإحاطة إرادته به، فلا يقع في الكون إلا ما يشاء.

والثاني: كون العباد -الذين لا يخرجون هم وأفعالهم عن سلطة إرادة الله بحكم القضية الأولى - مكلفين بالشرائع، ومسؤولين عن أعمالهم.

---

(١) ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي الفيلسوف من أهل قرطبة، ويلقب بابن رشد " الحفيد " تمييزا له عن جده، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، له مصنفات كثيرة منها : فلسفة ابن رشد، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ومنهاج الأدلة.. أ.هـ من: الأعلام- الزركلي -م.س- ٣١٧/٥ وما بعدها

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة - ابن رشد – تحقيق: محمود قاسم- ص ٢٢٣- ط٢: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٣) مصطفى صبري: من علماء الحنفية، فقيه باحث، تركي الأصل والمولد والمنشأ، سنة ١٨٦٩م، تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، وهاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده سنة ١٩٢٢م فألف كتبا بالعربية، منها: موقف العقل والعلم من رب العالمين، وموقف البشر تحت سلطان القدر، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م. أ.هـ من: الأعلام - الزركلي –م.س-٢٣٦/٧.

والثالث: أي التوفيق بين القضيتين يُرى في غاية الإشكال، وروح مسألة القضاء والقدر في هذا التوفيق، **فإن لم يتأت الجمع بين القضيتين في العقل فيلزم الجمع بينهما في الاعتقاد، ولذا صارت هذه المسألة أشد المسائل إشكالا وإعضالا.**

وقد قلنا من قبل أن أي مذهب ينبئ عن بساطة الأمر ويسهله على الفهم فهو أبعد عن الحقيقة؛ لعدم تناسبه مع طبيعة المسألة، واعتبرنا كون كسب الأشعري يضرب به المثل في الخفاء مزية لمذهبه بالرغم من الذين عابوه به..، ومذهبنا عبارة عن الاعتصام بالقضيتين كلتيهما، ثم الاجتهاد في التأليف بينهما، فإن عَنِتْنَا فيه فهو مقتضى الحال»[(١)].

ويقول (توماس بينك)[(٢)] **–في كتابه (الإرادة الحرة)–: «إنها بالفعل مشكلة حقيقية، ومهما بدت فكرة تحكمنا في أفعالنا مألوفة، فلا يوجد شيء مباشر أو صريح بشأنها؛ فالأسئلة الخاصة بكوننا نتحكم في الطريقة التي نتصرف بها أم لا؟، وما الذي يتطلبه هذا التحكم وينطوي عليه؟، وهل من المهم أن يكون لدينا هذا التحكم ولماذا؟ كلها تلخِّص واحدة من أقدم وأصعب المشاكل في الفلسفة»**[(٣)].

---

(١) موقف البشر تحت سلطان القدر– الشيخ مصطفى صبري - ص١٧٩، وما بعدها– ط١: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

(٢) توماس بينك: محاضرٌ معاصر متخصِّصٌ في الفلسفة في جامعة كينجز كوليدج لندن، يُركِّز عمله على الأخلاقيات، وعلى فلسفة العقل والفعل، والفلسفة السياسية، وفلسفة القانون، كما يكتبُ عن الفلسفة في العصور الوسطى وفي أوائل العصر الحديث، وله العديدُ من المؤلفات؛ من بينها: سيكولوجيا الحرية. موقع هنداوي، الرابط التالي: https://www.hindawi.org/contributors/35357308/، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/٢٠م.

(٣) الإرادة الحرة – توماس بينك- ترجمة: ياسر حسن - ص ١٠- ط١: مؤسسة هنداوي، مصر ٢٠١٥م.

إلى غير ذلك من الأقوال التي يضيق المقام عن حصرها، شرقية وغربية، مسلمة وغير مسلمة، العامل المشترك بينها هو: الإقرار لمسألة القدر بالصعوبة، والاعتراف بما فيها من إشكال عصي على الحل، وأَبِيٍّ على الدَّرْكِ والفهم.

- **ومن أقوال العلماء الدالة على أن في القدر سراً لا تناله العقول ما يلي:**

يقول الإمام (محمد عبده) –رحمه الله–: «أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل –من إحاطة علم الله وإرادته– وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار فهو **من طلب سر القدر الذى نُهينا عن الخوض فيه**، والاشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه»[1].

وقال (الإمام النووي)[2]–رحمه الله– في شرحه على صحيح مسلم «قال أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة، دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ **لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضُربت من دونها الأستار**، اختص الله به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛..، **وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها»**[3].

---

(١) رسالة التوحيد- م.س- ص٦١.

(٢) النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران، بسورية واليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، من كتبه : تهذيب الاسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وشرح المهذب للشيرازي، وغيرها كثير. انظر تفاصيل ترجمته في: الإمام النووي - عبد الغني الدقر – ط٤: دار القلم دمشق ١٩٩٤م.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – الإمام النووي –٤٩٤/٨- ط٢: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

فهذه طائفة أخرى من الأقول، تدل على أن في القدر سراً، وأن للعقل حدوداً لا طاقة له بتخطيها، ومن تلك الحدود مسألة القدر؛ حيث يبحر العقل في طلبها ما شاء أن يبحر، ثم لا يفوز بمطلب، ولا يظفر بمأرب.

وبِناء على ما سبق فإن أعدل الأقوال في هذ المسألة أن يقال:

«إن الاختيار مسألة شعور تتعلق بعالم الشهادة، وأما الجبر فمسألة إيمان تتعلق بعالم الغيب؛ وفرقٌ كبيرٌ بين الجبر العقلي من جهة، والحرية الحسية من جهة أخرى»؛

ولعل هذا ما ألمح إليه (شارح الجوهرة) حين قال:

«فلا يقال الجبر لازم لأهل السنة، حيث لم يجعلوا للعبد تأثيراً في أفعاله؛ لأنا نقول: الجبر المحظور هو الحسي كما ذهب إليه الجبرية، أما العقلي، وهو سلب الخالقية عن العبد فهو متوجه على جميع الفرق، ولا يضر، بل هو الإيمان، فاعرفه»[(١)].

وهو ما نبه إليه (الإمام السعد)[(٢)] –رحمه الله– في شرح المقاصد بقوله: «ونحن نقول الحق ما قال بعض أئمة الدين: إنه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين؛ وذلك لأن **المبادئ القريبة على قدرته واختياره،**

(١) شرح جوهرة التوحيد – الباجوري- م.س- ص٢٠٧.

(٢) مسعود بن عمر التفتازانى الإمام الكبير صاحب التصانيف المشهورة المعروف بسعد الدين ولد سنة ٧٢٢هـ وأخذ عن أكابر أهل العلم في عصره كالعضد وطبقته، وطار صيته واشتهر ذكره ورحل إليه الطلبة وشرع في التصنيف وهو في ست عشرة سنة، وتوفى يوم الأثنين الثانى والعشرين من شهر محرم سنة ٧٩٢هـ. أ.هـ من: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - محمد بن علي الشوكاني- ٣٠٣/٢- ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

والمبادئ البعيدة على عجزه واضطراره، فإن الإنسان مضطر في صورة مختار»[1].

إن ملاحظة الجناب الإلهي تجعل المصير إلى القول بالجبر محتوما، ولكن ملاحظة الواقع الإنساني تفرض علينا القول بالحرية؛ فلا ظلم للعبد من الجهة الشعورية؛ ولا طعن على الجناب الإلهي من الجهة الإيمانية.

إن شعورنا بحرية اختيارنا فيما نأتي ونذر أمر بدهي لا يحتاج إلى برهان؛ وهذا الشعور كاف في قيام حجة الرب علينا، وفي مسؤوليتنا عما نفعل، وأما ما وراء ذلك من البحث الفلسفي في المسألة فإنه يصل بنا في النهاية إلى القول بالجبر العقلي.

يقول (بينك) في كتابه (الإرادة الحرة): «وهذه الفكرة المتعلقة بكوننا متحكمين في طريقة تصرفنا، أو ما يمكن أن نطلق عليه أيلولة أفعالنا إلينا، هي فكرة نتشارك فيها جميعًا، وهي سمة ثابتة وأساسية في تفكيرنا، وبإمكاننا جميعًا تمييزها، والفكرة جذابة بدرجة لا تقاوَم، **فمهما كان قدر التشكك الذي قد نصبح عليه عند التعامل مع الأمور الفلسفية، فإننا ما إن نعود أدراجنا إلى الحياة العادية حتى نستمر جميعًا في التفكير في أن الطريقة التي نتصرف بها تئول إلينا»**[2].

---

(١) شرح المقاصد – الإمام سعد الدين التفتازاني- تحقيق: عبد الرحمن عميرة - ٤/ ٢٦٤- ط٢: عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.

(٢) الإرادة الحرة -م.س- ص١٠.

إذن ما تجده في نفسك من الحرية هو حجة الله عليك، وما وراء ذلك يجب أن تسلم له، ومناطق التسليم التي يقتضيها الإيمان بالقدر عديدة؛ أهمها ما يلي:

أ- الإيمان بأن الله خالق كل شيء خيرا كان أو شرا، ولا يلزم من خلقه الشر رضاه به.

ب-الصبر على المقدور.

ج-الإيمان بالحكمة في كل مقدور وإن خفيت.

د- الإيمان بانتفاء الظلم والعبث عن تقدير الرب العظيم جل وعلا.

هـ-الإيمان بمسؤولية العبد رغم عموم مشيئة الرب وخلقه.

وقد صاغ العلامة (أبو حيان التوحيدي)[١] -رحمه الله- هذا الاختيار الذي مال الباحث إليه صياغة طيبة؛ فقال: «من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأواتي من معدن الإلهيات أقر بالجبر، وعرَّى نفسه من العقل والاختيار والتصرف والتصريف؛ لأن هذه وإن كانت ناشئةً من ناحية البشر، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق؛ فهذا هذا.

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والاختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المحدثين اللائمين الملومين المكلفين، فإنه يعلقها بهم، ويلصقها برقابهم، ويرى أن أحداً ما أتي إلا من قِبَلِ نفسه،

(١) علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، المتكلم الصوفي، صاحب المصنفات شيرازي الأصل وقيل نيسابوري وقيل واسطي، كان إماما في النحو واللغة والتصوف، فقيها مؤرخا، صنف البصائر والإشارات وغيرهما- أه من: طبقات الشافعية الكبرى – تاج الدين السبكي– تحقيق: محمود محمد الطناحي – ٥/ ٢٨٦- ط٢: دار هجر، السعودية، ١٤١٣هـ.

وبسوء اختياره، وبشدة تقصيره، وإيثار شقائه؛ والملحوظان صحيحان، واللاحظان مصيبان، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف؛ لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية»[1].

واعلم أن عجزنا عن تصور هذه المسألة –مسألة التوفيق بين عموم مشيئة الرب ومسؤولية العبد– فرع لعجزنا عن تصور ذات الله تعالى؛ إننا عاجزون عن تصور كيف تعمل إراداتنا في إطار عموم إرادة الرب جل وعلا؛ ثم –في نهاية الأمر– تكون القدرة الحادثة هي المسؤولة؟!

والأمر يسير؛ لأن إرادة الله –تعالى– كاملة عامة شاملة، ليست كإراداتنا بحال من الأحوال، كما أن صفاته –تعالى– من السمع والبصر والعلم وغيرها ليس كسمعنا أو بصرنا أو علمنا؛ وليس سلطان الله كسلطان غيره؛ فإنه إذا شاء منك ذو سلطان في الدنيا أن تفعل ما يريد، فسيقع منك بعض الفعل عن رغبة وإرادة، وبعضه الآخر عن قهر وإرغام، لكن الله لا يريد منك فعلا فيقع منك عن إرغام أبدا، بل يقع منك الكل عن رغبة وإرادة.

والسر أو الصعوبة كامنة في: الإيمان بعموم سلطان الرب، ثم في عدم التملص من المسؤولية؛ نؤمن بالأول؛ لأنه مقتضى كمال علمه ومشيئته وقدرته وإرادته تعالى، ونقر بالثاني؛ لأنه مقتضى الواقع البدهي المشاهد.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة- أبو حيان التوحيدي- تحقيق: أحمد الأمين وأحمد الزين - ٢٣٣/١ - ط١: دارمكتبة الحياة ،مصر.

ويعبر عن ذلك أتم التعبير وأوفاه قول الله رب العالمين في سورة النحل: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣].

وأخيرا: فإننا إذا وسَّعنا دائرة النظر وجدنا أن الإيمان بالقدر هو الركن الأصعب في أركان الإيمان الستة، كما أنه أشدها غموضاً، وهو فوق ذلك أغربها ذكرا في نصوص الوحيين؛

فأما كونه أصعبها؛ فلانك لن تسلم من بلاء يخرج معدنك الحقيقي ليعلم الله أتؤمن بالقدر أم تكفر؟، فالصعوبة كامنة في أنك تختبر اختبارات مباشرة مشاهدة في الإيمان بهذا الركن، وليس هذا لغيره من الأركان؛ فأنت لا تجد صعوبة في التسليم بالملائكة واليوم الآخر مثلا.

وأما كونه أغمضها؛ فذلك لأن فيه –كما تقدم– سِراً لا تبلغه العقول، ولو بلغت من الحدة مبلغا بعيدا، والسر كامن في أنك لن تعرف لماذا قدر الله كذا؛ لأن كل تعليل سَيَرِدُ عليه إشكال، ثم ينتهي بنا المطاف إلى أن نقول: ألم يكن الله قادراً على تحقيق الغاية من المقدور دون إيقاع القدر، وهنا يُسدلُ الستار، ولا ينجيك غير التسليم.

وأما غرابة ذكره؛ فلأن القدر لم يذكر في القران الكريم مع الآيات التي ورد بها ذكر أركان الإيمان، كما هو واضح في آيات سورة النساء[1]، وأما في السنة المطهرة فقد أعاد سيدنا رسول الله (ﷺ) لفظ الإيمان مع

(١) قال تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء: ١٣٦)

القدر خاصة[1] من بين الأركان، ولعل غرابة الذكر هذه تتناسب مع ما تقرر آنفا من الصعوبة والغموض.

وهذا الذي تقرر آنفا –في مسألة القدر– لا يبعد أبداً عما جاء تقريره في القرآن الكريم، ومن تأمل آيات الكتاب وجده عالج هذه المسألة علاجاً تاماً في مواضع كثيرة، وفي المطلب التالي نتناول هذا التقرير القرآني بشيء من التفصيل.

(١) حيث قال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ صَدَقْتَ. رواه مسلم، برقم: ١٠٢، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

المطلب الثالث

نظرة تحليلية في نصوص القدر الواردة في القرآن الكريم

لعل أغرب ما في مسألتنا هذه أن الجميع ممن اختلفوا حولها قد استدلوا على مذاهبهم بالقرآن الكريم!، لذلك كان من الأهمية بمكان أن نستعرض كيف قال القرآن الكريم في هذه المسألة الشائكة، ويعزز هذه الأهمية أمران:

الأول: استحالة إغفال القرآن الكريم لمثل هذه المسألة.

الثاني: سلامة المجتمع الأول من الصحابة رضوان الله عليهم من الخلاف حولها.

وبعد استقراء آيات الكتاب الكريم في المسألة تبين أنها على أصناف ستة؛

- الصنف الأول: آيات تدل على عموم مشيئة الله تعالى وتعلق الهداية والضلال بها.

وهي أكثر النصوص في الباب، ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[النحل: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١٣٧].

- **الصنف الثاني: آيات تدل على نفي الظلم عن الله تعالى.**

وهي تؤكد مسؤولية العبد عن فعله وأن عموم مشيئة الله لا يقتضي ظلما للعباد، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩].

- **الصنف الثالث: آيات تدل على أن للعبد مشيئته وفعلاً وعملاً وصنعاً وكسباً.**

كقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ [المزمل: ١٩].

- **الصنف الرابع: آيات تدل على أن العبد مسؤول عن فعله وتركه.**

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾[الصافات: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣].

- **الصنف الخامس: آيات تدل على أن الهدى والضلال يُبْنَى على سابق استحقاق من العبد.**

كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [غافر: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ

ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى:﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦]، وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[الصف: ٥].

- **الصنف السادس: آيات تدل على استحقاق العصاة والكفار للتوبيخ.**

لأنه لا مانع لهم من الإيمان والطاعة ولا مُلْجِأ إلى الكفر والمعصية؛ كقوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥]، وقوله تعالى:﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الانشقاق: ٢٠]، وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] ، وقوله تعالى:﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨].

تلك هي أصناف الآيات الواردة في هذه المسألة، وأنت إذا أمعنت النظر فيها رأيت أن القدر المحكم يتلخص في: (ثبوت عموم مشيئة الله تعالى وإرادته، وأن العبد مسؤول، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة)، وهذه المحكمات بدورها تطرح سؤالا مفاده:

عن أي شيء يُسأل العبد مع ثبوت عموم مشيئة الله تعالى؟

والجواب: يُسأل عما يجده بداهة ويشعر به ضرورة من الحرية وعدم الجبر، وهذه الحرية الشعورية البدهية هي حجة الله علينا، وهي التي سوغت عددا من الأمور أهمها:

١– نسبة الأفعال والمشيئة إلى العبد [كما في الصنف الثالث].

٢– أن يقال: إن العبد لمَّا سعى إلى الهدي هُدِيَ، ولمَّا انحرف نحو الضلالة ضل [كما في الصنف الخامس].

٣- صحة توجه آيات التوبيخ إلى فعل العبد وتركه [كما في الصنف السادس].

٤- مسؤولية العبد عن أفعاله وتعالي الرب -عز وجل- عن العبث والظلم [كما في الصنف الثاني والرابع].

وبعد فهذه المطالب ضرورية قبل أن نلج إلى العلوم الحديثة ونرى كيف هو تأثيرها على هذه المسألة، فلا بد من أن يكون لدينا تصور واضح؛ لنستطيع الحكم على ما يطرحه العلم الحديث؛ وتلك المطالب بمثابة المعيار للحكم، والقاعدة للانطلاق.

وأحسب أن ما جاء في هذه المطالب كاف في بناء تصور يصلح أن يكون قاعدة حكمية على ما يرد في المبحث الثاني بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

حرية الإرادة الإنسانية

في ضوء العلوم الحديثة

المبحث الثاني

حرية الإرادة الإنسانية في ضوء العلوم الحديثة

توطئة:

وقفت الحضارة الغربية موقف الفكر الإنساني من حرية الإرادة؛ طرفين وواسطة؛

فذهبت طائفة من فلاسفة الغرب إلى القول بحرية الإرادة الإنسانية؛ وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط)(١)؛ «حيث يرى أن الله والحرية والخلود هي أفكار العقل الثلاثة»(٢).

بينما ذهبت طائفة أخرى إلى القول بالجبر ونفي حرية الإرادة؛ ومنهم الفيلسوف الهولندي (اسبينوزا)(٣) **حيث يقول:** «ولما كانت الأشياء جميعاً معينة بما في الطبيعة الإلهية من ضرورة الوجود والفعل، لم يكن في الطبيعة ممكنات، ولم يكن في النفس إرادة حرة ..، وإنما يعتقد الناس أنهم

---

(١) إيمانويل كانت: فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤ - ١٨٠٤)، كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، طرح منظورا جديدا في الفلسفة أثر ولا زال يؤثر في الفلسفة الأوربية حتى الآن، نشر أعمالا هامة وأساسية، وأكثر أعماله شهرة كتابه نقد العقل المجرد. أهـ من: معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي -ص٥١٣ -٥١٧- ط٣: دار الطليعة، بيروت ، ٢٠٠٦م.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية – برتراند رسل- ترجمة: محمد فتحي الشنيطي- ٣٢٣/٣- ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

(٣) باروخ سبينوزا: فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن ١٧، ولد في ١٦٣٢ في أمستردام، وتوفي في ١٦٧٧ في لاهاي. كان موافقًا مع فلسفة رينيه ديكارت عن ثنائية الجسد والعقل باعتبارهما شيئين منفصلين، ولكنه عاد وغير وجهة نظره في وقت لاحق وأكد أنهما غير منفصلين، امتاز باستقامة أخلاقه. أهـ من: معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي –م.س- ص ٣٥٩-٣٦١.

أحرار؛ لأنهم يجهلون العلل التي تدفعهم إلى أفعالهم..، كما يظن السكران أنه يصدر عن حرية تامة فإذا ما ثاب إلى رشده عرف خطأه»[١].

وطائفة ثالثة تبنت مذهب التوفيق بين الجبر والاختيار؛ ومنهم الفيلسوف الانجليزي (ديفد هيوم)[٢] **؛ حيث يقول:** «لكن من أجل السير في المشروع التوفيقي بصدد مسألة الحرية والضرورة [أي: الجبر]، وهي أكثر المسائل إثارة للخلاف في الميتافيزيقا، التي هي أكثر العلوم إثارة للخلاف، لن يلزمنا كلمات كثيرة لإثبات أن جميع البشر قد كانوا دائما متفقين حول مذهب الحرية، كما حول مذهب الضرورة، وأن كل الخصام كان في هذه الصدد مجرد نزاع لفظي»[٣].

ولا يخفى أن العلوم الطبيعية الحديثة تخطوا خطوات واسعة، ومع كل خطوة يخطوها العلم تتأثر الفلسفة وتتبدل الأفكار والمعتقدات؛ وواحد من أهم تلك القضايا الفلسفية التي تأثرت بخطوات العلم الواسعة قضية

---

(١) باروخ اسبينوزا – كامل محمد عويضة - ص٦٢- ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ومن الجبريين الأشداء (جونثان أدواردز) انظر: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي – بول بولر- ترجمة: إسماعيل كشميري، ونور الدين الزراري - ص١٠- ط: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

(٢) ديفيد هيوم: فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي ولد في ١٧١١م، وتوفي في ١٧٧٦م، وهو شخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي، اشتهر كمؤرخ بداية، لكن الأكاديميين في السنوات الأخيرة ركزوا على كتاباته الفلسفية. أهـ من: معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي – م.س- ص ٧٢٦-٧٢٨.

(٣) مباحث في الفهامة البشرية – ديفد هيوم - ترجمة: موسى وهبة - ص١٣٢- ط١: دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م، وللوقوف بشكل مجمل على مسار القول بالحرية والجبر في الفلسفة والفكر الغربي انظر: موسوعة الفلسفة - عبد الرحمن بدوي - ١/ ٤٦٠- ٤٦٢- ط١: المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، وتاريخ الفلسفة الغربية - بورتراند راسل –م.س- ١/ ٣٩٥.

حرية الإرادة الإنسانية، وفي هذا المبحث نحاول الإجابة عن عدد من الأسئلة المهمة المتعلقة بتلك المسألة؛ أهمها ما يلي:

- ما العلوم التي قد تؤثر فلسفيا على مسألة حرية الإرادة الإنسانية؟
- وماذا تقول هذه العلوم؟
- وما وجه تأثيرها على تلك المسألة؟
- وهل القول في تلك العلوم قول واحد؟
- وما وجهتنا الدينية في حال ثبوت تلك الآثار؟

هذا وغيره يتم عرضه –في هذا المبحث– من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أبرز العلوم الحديثة المؤثرة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

المطلب الثاني: مناقشة ما انتهت إليه بعض العلوم الحديثة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

المطلب الأول

أبرز العلوم الحديثة المؤثرة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

لقد علا صوت المنادين بالجبر في الغرب، لا سيما الملاحدة منهم، ولقد كان للكشوف العلمية أثرها في صلابة هذا الاتجاه وقوته، ثم تتابع الاستدلال بعد ذلك بكافة فروع العلم المختلفة؛ كعلم النفس، وعلم المخ والأعصاب، وعلم الجينات؛ وإليك تفصيل ما قالوا:

أولا: علم النفس وأثره على حرية الإرادة.

لقد خطا علم النفس على يد (فرويد)[١] خطوات واسعة، كان من آثار تلك الخطوات القول بأن حرية الإرادة ليست إلا وهماً من الأوهام؛ لقد «قلب (فرويد) فكرتنا عن الإنسان رأسا على عقب؛ فبينما كانت الطبيعة – بحسب (ديكارت)[٢] (ولوك)[٣] (وكانت)– تمنحنا إرادة حرة، والقدرة على

(١) سيغموند فرويد: طبيب نمساوي ومفكر حر من أصل يهودي، ولد في ١٨٥٦م وتوفي في ١٩٣٩م، اختص بدراسة الطب العصبي، ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. وهو طبيب الأعصاب الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، واشتهر بنظريات العقل واللاواعي. موسوعة مشاهير العالم –نبيل موسى - ٢/ ٢٧١ - ط١: دار الصداقة، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٢) رينيه ديكارت: فيلسوف، وعالم رياضياتي وفيزيائي فرنسي، ولد في ١٥٩٦م وتوفي ١٦٥٠م، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، خصوصًا كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى، الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. أهـ من: معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي – م.س- ص ٢٩٨-٣٠٤.

(٣) جون لوك: فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. ولد في ١٦٣٢م، وتوفي ١٧٠٤م، كان فيلسوفا تجريبيا حسيا، سلم بعجز العقل البشري وقصوره عن معالجة ما يتجاوز حدوده وإمكانياته، وقد وضح ذلك في معظم كتبه ولا سيما كتابه (مقال في الفهم الإنساني) وكتابه (عن العقل البشري). معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي—م.س- ص٥٩٨-٦٠٠.

الاختيار الحر هي في المطاف الأخير جوهر شخصيتنا، وهي ذات صلة بنفس واعية، فأن (فرويد) اعتبر نظرتنا إلى نفوسنا هذه وهما؛ فالنفس الواعية ليست سوى المظهر الخارجي لحياة عقلية لا واعية قوية»[١].

« فالفرد –في التحليل النفسي[٢]– ليس حرًّا كل الحرية في تصرفاته، والفرد في ذلك مثل الجنس، فكلٌّ منهما مقيَّد بقيود ماضيه، ومعنى هذا أن الفرد ليس مقيدًا بقيود ماضيه الخاص فقط، بل ماضي الجنس البشري كله، وبالضرورة فإنَّ الجنس مقيد بقيود ماضي أفراده، ولعلَّ هذا الرأي يتفق مع ما نراه كل يوم من فشل المصلحين في مختلف عصور التاريخ في خلق صورة إنسانية منطقية أو مفيدة، وما نراه من فشل الأفراد في تكييف أنفسهم في صورة جديدة»[٣].

لقد بات فريق من علماء النفس يرون أننا «إذا اطلعنا على جميع الشروط التي تحيط بالإنسان في وضعية ما، استطعنا أن نتنبأ بنوع تصرفاته فيها فيما بعد؛ على أساس أن الشروط الواحدة تعطي نتائج واحدة،

---

(١) تاريخ الفكر الغربي – غنار سكيربك و نلز غيلجي – ترجمة : د حيدر إسماعيل- ص٧٧٨- ط١: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، وقد عالج فرويد هذا الطرح في العديد من كتبه: انظر على سبيل المثال: الأنا والهو – سيجموند فرويد – ترجمة: محمد عثمان نجاتي- ص٢٥-٣٢- ط٤: دار الشروق، مصر، ١٩٨٢م.

(٢) التحليل النفسي: «ابتدعه فرويد، ومقتضاه أن يكون المريض في وعيه غير منوم، ولكن في حالة من الراحة الجسدية والاسترخاء الفكري، ويدلي للطبيب بكل ما يرد بذهنه دون إخفاء شاردة أو واردة مهما بدا الخاطر معيبا أو سخيفا أو تافها، وهدف التحليل هو: إخراج مكنونات اللاشعور، وكشف تلك العقدة أو الذكرى المكبوتة لكي يواجهها المريض ويدرك سر سيطرتها عليه، فيتخذ منها موقفا آخر يخلصه من سلطانها». أهـ من: معجم مصطلحات علم النفس –منير وهبة الخازن – م.س- ص١١٠.

(٣) مبادئ التحليل النفسي –محمد فؤاد جلال- ص ٦٠- ط١: موسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.

وأن هذه الشروط إذا ما توفرت أعطت نتائجها حتماً..، إن الحياة النفسية وبالتالي أفعال الإنسان وأفكاره يمكن إرجاعها إلى قوانين ثابتة، ويمكن التنبؤ بها عند معرفة شروطها..، وبالتالي فأن الحرية لا وجود لها في عالم يستمد وجوده من غيره»[1].

وهكذا نرى أن من علماء النفس الغربيين من ذهب إلى القول بنفي حرية الإرادة الإنسانية انطلاقا من التحليل النفسي للسلوك الإنساني، وأن المعرفة المسبقة بشروط الظاهرة النفسية يجعلنا نتنبأ بتصرفات صاحبها المستقبلية، بشكل حتمي لا يتخلف، الأمر الذي يعني أن حرية الإرادة – بحسب هؤلاء– وهم من الأوهام.

ثانياً: علم المخ والأعصاب وأثره على حرية الإرادة

لا يسع الباحث حين يتحدث عن علوم المخ والأعصاب وأثرها الفلسفي على مسألة حرية الإرادة أن يغفل ذكر تجربة (بنيامين ليبيت)[2]، لا سيما وقد اعتبرها الفلاسفة الغربيون دليلاً تجريبياً قوياً على انهيار مفهوم حرية الإرادة الإنسانية.

وفي هذه التجربة «قام (بنيامين ليبيت) بربطِ المشاركين في دراسةٍ له بأجهزة مخصصة لقياس موجات النشاط الكهربائي بالدماغ، ثم طَلَب منهم مشاهدةَ ساعةٍ تدور حولها نقطة، وعندما يشعرُ المُشاركُ برغبة في تحريكِ إصبعه، عليه ملاحظةَ موقعِ تلك النقطة بالتحديد، وعليه فقد سجَّل (ليبيت)

(١) الوجيز في الفلسفة - محمود يعقوبي –ص ١٤٨، وما بعدها بتصرف- ط: المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ١٩٨٤م.

(٢) ليبيت: عالم فيسيولوجيا المخ والأعصاب الأمريكي (١٩١٦- ٢٠٠٧م)، رائد في مجال الوعي الإنساني ا.هـ من: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: https://cutt.us/0ncA1، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/٦/٦م.

نشاطاتٍ دماغيةٍ قبل مئاتٍ من الميللي ثانية من إظهار المشاركين أي تعبيرٍ بإرادتهم الواعية في تحريكه، وقد وجد (ليبيت) بذلك دليلا على أن ثمت نشاط دماغي مسبب للحركة قبل ظهور القرار الواعي لتحريك اليد، وأن القرار الواعي لا يسبب حركة اليد؛ فالنشاط الدماغي يسبق الإرادة الشخصية، الأمر الذي جعل الإرادة –بحسب (ليبيت)– عبارة عن وهم»[١].

كما ذهب (مايكل جازانيجا)[٢] في كتابه (مجادلة الإرادة الحرة من المسؤول؟) إلى أن: «دوائر المخ الكهروكيميائية تعمل في تناسق، دون أن تكون هناك غرفة تحكم مركزية، ولا يوجد قزم أو شبح يوجد داخل أدمغتنا يوجه الآلة الدماغية ويستقبل مدخلاتها، والوعي دائما ما يتأخر قليلا عن وقوع الحدث؛ ومن ثم يرفض (جازانيجا) مفهوم الإرادة الحرة»[٣].

كما تقترح الدراسات الأحدث، التي أُجريت باستخدام أجهزة الرنين المغناطيسي الوظيفي، أن جذور اتخاذ قراراتنا في العقل الباطن قد تمتد لفترة زمنية أطول؛ «وذلك في البحث الذي نُشر عام ٢٠١٣م، حيث قام عالم الأعصاب الألماني (جون ديلان هاينز)[٤] وزملاؤه العاملون في مركز

---

(١) الوعي – سوزان بلاكمور- ترجمة: مصطفى محمد فؤاد - ص٨٨-٩١- ط١: مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٦م.

(٢) عالم أعصاب وأستاذ جامعي وكاتب وطبيب أمريكي ولد في ١٩٣٩م الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط التالي: https://arz.wikipedia.org/wiki تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/١٥م.

(٣) انظر: الوعي – آناكا هاريس – ترجمة : أحمد هنداوي - ص ٢٤– ط١: مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٢٢م، والإلحاد مشكلة نفسية -عمرو شريف- ص٣٨٧- وما بعدها- ط٢: نيو بوك، مصر،٢٠١٦م.

(٤) جون ديلان هاينز: باحث بريطاني ألماني مواليد ١٩٧١، درس علم النفس والفلسفة في جامعة بريمن، وفي عام ٢٠٠٣ حصل على الدكتوراه، يعمل منذ عام ٢٠٠٦ أستاذًا للنظرية والتحليل لإشارات الدماغ بعيدة المدى في مركز بيرنشتاين لعلم الأعصاب الحسابي. موقع ويكيبيديا الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/John-Dylan_Haynes ، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/١٥م.

بيرنستين لعلم الأعصاب في برلين..، وقد قادت هذه الدراسات البعض إلى إطلاق تعميمات شاملة، مؤداها أن الإرادة الحرة قد ماتت»[١].

خلاصة القول إذن لدى هؤلاء العلماء والفلاسفة: أنه إذا ثبت تجريبياً أن النشاط غير الواعي يسبق النشاط الواعي فإن هذا يمكن ترجمته –من الوجهة الفلسفية– إلى أن الإنسان يحسب أنه حر، بينما هو في الحقيقة يقع أسيراً لقرارات اللاوعي السابقة على وعيه.

ثالثاً: علم الجينات وأثره على حرية الإرادة

علم الجينات من بين أحد أكثر العلوم الحديثة دعماً لموقف الجبر في مسألة الإرادة الإنسانية؛ فهو أحد الحجج القوية في يد من يدعون الجبرية من فلاسفة ومفكري الغرب، لا سيما الملاحدة منهم.

ويعبر عن ذلك عالم الأحياء البريطاني الملحد (ريتشارد دوكنز)[٢] تعبيراً عجيباً؛ فيقول: "DNA neither cares nor know, DNA just is, And we dance to its music. " أي: «الحمض النووي لا يعلم ولا يهتم، الحمض النووي هو كما هو فحسب، ونحن نرقص على موسيقاه»[٣].

---

(١) موقع: Scientific American مقال بعنون : لماذا نمتلك إرادة حرة؟ على الرابط التالي: https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/ ، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/٣/١٩م.

(٢) ريتشارد دوكينز: مواليد ٢٦ مارس ١٩٤١، عالم أحياء تطوري بريطاني ومؤلف، برز دوكينز لأول مرة مع كتابه عام ١٩٧٦ الجين الأناني ، الذي شاع وجهة نظر التطور التي تركز على الجينات، ويؤكد دوكينز أن الخالق الخارق للطبيعة يكاد يكون غير موجود وأن الإيمان الديني هو وهم، وله ظهور في التلفاز والإذاعة والإنترنت. موقع ويكيبيديا الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/Richard_Dawkins ، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/١٥م.

(3) River Out of Eden: A Darwinian View of Life – Richard Dawkins - pp: 133- London, 1995.

تأمل في قوله: ونحن نرقص على موسيقاه! أي: إننا كالعرائس الخشبية التي يحركها صاحبها في مسرح العرائس، إنها لا تملك من الأمر شيئاً، وكذلك نحن من وجهة نظره!.

ويقول عالم النفس الأمريكي (جيمس هيلمان)[١]: «أنا أعيش مؤامرة مكتوبة عن طريق الشفرة الوراثية الخاصة بي، ووراثة الأجداد، والمناسبات المؤلمة في حياتي، والحوادث الاجتماعية»[٢].

ويقول الفيلسوف وعالم الأعصاب الأمريكي (سام هاريس)[٣] **في كتابه (الإرادة الحرة):** «الإرادة الحرة هى وهم، نحن ببساطة لا نصنع إرادتنا، الأفكار والنوايا تنشأ من أسباب خفية لا نعيها، ولا نملك سيطرة واعية عليها، نحن لا نملك الحرية كما نعتقد؛ فإذا كان ما يحدد خيار شخص ما بقتل الرئيس –مثلا– هو نمط معين من النشاط العصبى، والذى بالتالى ناتج عن أسباب مسبقة – **ربما مصادفة مؤسفة من الجينات السيئة**، طفولة غير سعيدة، افتقاد إلى النوم، أو التعرض لأشعة كونية– فما الذى يعنيه القول بأن إرادته حرة؟!»[٤].

---

(١) جيمس هيلمان: عالم نفس أمريكي، ولد سنة ١٩٢٦م، وتوفي سنة ٢٠١١م، وهو مؤسس حركة: نحو علم النفس الأصلي. موقع ويكيبيديا، الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/James_Hillman ، تاريخ الاقتباس: ١٥/١١/٢٠٢٢م.

(٢) الإلحاد في مواجهة نفسه – سامي عامري - ص٧٧- ط١: رواسخ، الكويت، ٢٠٢١م.

(٣) بنجامين هاريس: من مواليد ١٩٦٧م، فيلسوف وعالم أعصاب ومؤلف، يتطرق عمله إلى مجموعة من الموضوعات، منها : العقلانية والدين والأخلاق والإرادة الحرة وعلم الأعصاب والتأمل و غيرها، معروف بأنه أحد "الفرسان الأربعة" للإلحاد الجديد ، إلى جانب ريتشارد دوكينز ، وكريستوفر هيتشنز ، ودانييل دينيت. موقع ويكيبيديا، الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/Sam_Harris ، تاريخ الاقتباس: ١٥/١١/٢٠٢٢م.

(4) free will- Sam Harris- pp: 17- Free press, New York, 2012.

تلك هي الجبرية الغربية المتدرعة بالعلم، تتجلى في كتابات علماء النفس، وعلماء المخ والأعصاب، وعلماء الجينات؛

فكيف يمكن رد تلك الفلسفة بعد أن تدرعت بهذا السلاح القوي؟

هذا ما نتعرف عليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني

مناقشة ما انتهت إليه بعض العلوم الحديثة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية

لا بد أن نعي قبل المناقشة أن ظهور التيار العلمي الجبري في الغرب أمر مثير للعجب والدهشة؛ وذلك لما يلي:

أولاً: أن هؤلاء الغربيين كانوا يوماً من الأيام قد عزوا تخلف الشرق العربي والإسلامي إلى جبريته، فكيف يمكنهم التوفيق اليوم بين تقدمهم المذهل مع قولهم بالجبرية؟!

ثانياً: أنهم قوم يُصَدِّرون للعالم كله اليوم مصطلح (الحرية)، ويشيع بينهم بقوة مصطلح (المفكرون الأحرار)، فكيف للحرية أن تتعايش في هذا الإطار الحديدي من الحتمية والجبر، وكيف سيظل المفكرون أحرارا حين تُسْلب من الإنسان إرادته بداع من العلم؟!.

ثالثاً: أنهم ما زالوا يدينون المجرمين والخارجين على القانون في محاكم ديارهم ودور القضاء لديهم، فكيف يصح لهم ذلك مع قولهم بجبرية الإنسان؛ أيدينون من لا يملك من الأمر شيئا؟!

أما عن مناقشة دلالة العلم على الجبر فذلك يتأتى من خلال عدد من الوجوه، إجمالها ما يلي:

- الأول: بيان أن العلم ليس هو السبب الأساس في القول بالجبر.
- الثاني: بيان أن انهيار مفهوم الحتمية يدعم الحرية على حساب الجبر.
- الثالث: مناقشة العلوم التي استند إليه القائلون بالجبر في الفكر الغربي.

وتفصيلها على النحو التالي:

الوجه الأول: بيان أن العلم ليس هو السبب الأساس في القول بالجبر

وذلك لأن العلة الحقيقية وراء قول كثير من مفكري الغرب بالجبر ليس لأن هذا ما يمليه العلم فحسب؛ بل هناك عدة أسباب أخرى هي الأكثر منطقية لهذا الطرح، وأما العلم وكشوفه الحديثة فليست إلا وسيلة لدعم تلك الأسباب، ومن هذه الأسباب –على سبيل المثال–:

أولاً: إبطال الأديان وتسويغ الإلحاد؛ لأنه إذا ثبتت جبرية الإنسان لم يعد للأديان قيمة؛ ولذلك «كتب البيولجي الملحد العنيد (جيري كوين)[1] مقالا يقول فيه: «إن سلوكياتنا تقررها بصورة حصرية جيناتنا وبيئاتنا ولا شيء آخر» ، ليقفز من ذلك إلى القول: «إن جبرية فعل الإنسان حجة لا بد من استثمارها لإثبات فساد الأديان؛ إذ كيف يعاقب الرب بشرا بالنار على فعل ليس لهم سبيل لتلافيه ؟!»[2].

ثانياً: ومن تلك الأسباب –أيضاً–: النجاة من عذاب الضمير؛ لأن الأمور إذا كانت تجري بشكل حتمي فلا وجه لأن يؤنب الإنسان نفسه على ما يرتكبه من جرائم وأخطاء.

---

(١) جيري كوين: المولود في ١٩٤٩م، هو أستاذ بيولوجيا أمريكي، باحث وكاتب غزير الإنتاج، نشر مقالات في عشرات الصحف عن نظرية التطور. وهو حاليا أستاذ في جامعة شيكاغو في قسم علم البيئة والتطور. وهو مؤلف كتاب «لماذا التطور حقيقة»، اكتسب كوين شهرته خارج المجتمع العلمي عندما انتقد الدين بشكل علني وغالبًا ما يتم الاستشهاد بكلامه مع باقي الملحدين. موقع الحافة، الرابط التالي: https://www.edge.org/memberbio/jerry_a_coyne، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/٢٥م.

(٢) براهين وجود الله - سامي عامري- ص١٣٣- ط١:دار تكوين، لندن، ٢٠١٨م.

فهذا الكاتب الأمريكي (مارك تواين)[١] **يقرر الجبرية في كتابه (ما الإنسان؟)– فيقول:** «الإنسان الآلي أو الآلة البشرية آلة مجردة عن فكرة الشخصية؛ فأيا كان حال الإنسان فهذا يرجع قبل كل شيء إلى معدنه، وإلى المؤثرات التي تؤثر في هذا المعدن من: بقايا وراثية، وبيئية، وروابط، ليس هناك غير المؤثرات الخارجية وحدها تدفعه وتوجهه وتسيطر عليه، وهو لا ينتج شيئاً جديداً بالمرة، ولا يبتكر ولو فكرة»[٢].

وهذه «الفلسفة الجبرية التي انتهجها –تواين– خلال سنوات نضوجه قد تكون قد **ساعدت على التخفيف من عبء الذنب الباطن وعذاب الضمير والشك الذاتي** ..، وكان (تواين) يؤمن بأنه إذا كان كل ما يحدث ليس إلا مجرد حلقة في سلسلة لا انفصام لها من العلة والمعلولات الميكانيكية، فإن من النادر أن يعد الإنسان نفسه مسئولاً عن خطأ يرتكبه»[٣].

ثالثاً: ومن تلك الأسباب –أيضاً– ما يتعرض له الإنسان من الشرور والآلام؛ فيرى في القول بالجبر أحد أقوى المسكنات لهذه الشرور وتلك الآلام؛

ففي «رأي **بعض النقاد** أن هذه الفلسفة –التي انتهجها تواين– كانت استجابة متشائمة للمصائب التي لحقت به في التسعينات؛ مثل إفلاسه عام ١٨٩٤م، وموت ابنته (سوسي) المفاجئ من الحمى الشوكية عام ١٨٩٦م،

---

(١) مارك توين: المولود في ١٨٣٥م والمتوفى في ١٩١٠، كاتب أمريكي ساخر، كتب الشعر والقصص القصيرة والمقالات والمحتوى غير الخيالي، انظر ترجمته مفصلة في كتابه: مارك توين سيرة ذاتية – ترجمة: سعيد رضوان حران –ط١: دار كلمة، أبو ظبي، ٢٠١٤م.

(٢) ما الإنسان – مارك توين – تعريب: أنور عمر – ص٧- ط١: سلسلة الفكر الحديث، ٢٠٠٥م.

(٣) الحرية والقدر في الفكر الأمريكي – م.س- ص٢٤٨.

وظهور أعراض مرض الصرع على ابنته (جان) بعد ذلك، ثم إصابة زوجته (ليفي) في السنوات التالية بمرض لا أمل في شفائه»[١].

وهكذا يرى النقاد أن تلك الآلام التي ألمت بالرجل قد تكون هي السبب في دعمه لمذهب الجبر فيما خلَّفَهُ من كتابات، وليس هذا المعنى ببعيد عن الإنسان من حيث هو إنسان؛ فإن الألم –كما هو مشاهد معروف– يولد انحرافا في الأفكار والتصورات.

الوجه الثاني: بيان أن انهيار مفهوم الحتمية يدعم الحرية على حساب الجبر

وبيان ذلك أن الحتمية الطبيعية التي فرضتها الفيزياء الكلاسيكية لـ(إسحاق نيوتن)[٢] هي أحد أهم مرتكزات القول بالجبر في الفكر الغربي؛

والحتمية هي: «مبدأ يفيد عموم القوانين الطبيعية وثبوتها، فلا تخلف ولا مصادفة، ويقوم على مجموعة الشرائط الضرورية لتحديد ظاهرة ما، فكل شيء في الوجود يرد إلى علة ومعلول، وعلى هذا يعتمد الاستقراء في العلوم الطبيعية»[٣]، «وتختلف الجبرية عن الحتمية في أن الأولى ترد كل شيء

---

(١) م.س- ص ٢٤٩.

(٢) إسحاق نيوتن: عالم إنجليزي، ولد في ١٦٤٢م وتوفي في ١٧٢٧م، أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور، وأحد رموز الثورة العلمية، صاغ نيوتن قوانين الحركة وقانون الجذب العام التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة التالية حتى حلت محلها نظرية النسبية، انظر ترجمته مفصلة في: إسحاق نيوتن والثورة العلمية – جيل كريستيانسن- تعريب مروان البواب –ط١: مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م.

(٣) المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية - ص٦٧- ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.

إلى القوى العليا فهي ذات طابع ميتافيزيقي أو لاهوتي، في حين أن الثانية تقرر مبدأ القانون العلمي وارتباط العلة بمعلولها»[١].

وليت مفكري الغرب قصروا الحتمية على الظواهر الطبيعية، وإنما امتدت إلى الظواهر الإنسانية، لتنتهي بسلب الإنسان حرية الإرادة؛

جاء في المعجم الفلسفي: «وقد تمتد هذه الحتمية إلى الظواهر الإنسانية فتخضعها لظروف وعوامل سيكلوجية وطبيعية وتتعارض مع حرية الإرادة»[٢]، **بل**«القضية الأولى التي تنادي بها الحتمية هي: أن الإرادة الحرة ما هي إلا مجرد وهم إنساني»[٣].

لقد بات المتخصصون في الفيزياء النظرية والذكاء الاصطناعي يرون «أن إيمان المرء بالانفجار العظيم واتصال بعضه ببعض سبباً لا يسمح للإرادة الحرة أن تجد لها مكاناً؛ لأن كل أعمالنا عندها ليست سوى أثر من آثار الحركة الأولى في الكون، وكل ما يقع بعد الانفجار الأول هو تداع قهقري للحركة وما يتبعها من فكر»[٤].

ولكن هل حقا تصلح الحتمية أن تكون مستندا للقول بالجبر؟

الجواب لا؛ لسببين:

الأول: أن الحتمية لا تعدو أن تكون مجرد اعتقاد وتوقع وفرض، ليس إلا؛

---

(١) م.س- ص٥٩.

(٢) م.س- ص٦٧.

(٣) المعجم الفلسفي - مصطفى حسيبة – ص١٧٩ – ط١: دار أسامة ، الأردن، ٢٠٠٩م.

(٤) هذا كلام الأمريكي (ألفرد متر) موقع مجلة كوزموس، الرابط التالي: https://cutt.us/rxoEh تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/٥/١٠م.

فـ«الحتمية ذاتها القائمة على إمكانية التنبؤ في مجال الحوادث الطبيعية الصادرة عن غير الحيوانات الراقية هي مجرد اعتقاد يستعين به العالم على التعرف بالقوانين الطبيعية، التي هي في الحقيقة ليست سوي توقع الاطراد اعتماداً على ما حدث في السابق، وليس لديه أي ضمان ضروري بأن ما حدث في السابق على شكل معين سوف يحدث على الشكل ذاته في المستقبل، **إذن فالحتمية تبقى مجرد فرض يستعين به الباحث على سلك الظواهر السابقة في صيغة كلية**، تعبر عن الاطراد المتوقع في حدوث مثل هذه الظاهرة في المستقبل، وهو لا جرم فرض جد مفيد في إقامة قواعد العلم»[١].

الثاني: أن الحتمية قد انهارت كمفهوم مع بداية القرن العشرين؛

إن القوم يتنكرون للعلم، ويدفنون رؤوسهم في الرمال؛ بعد أن علموا أن الحتمية كمفهوم قد انهار مع بداية القرن العشرين، وظهر ما يعرف باللاحتمية؛

جاء في المعجم الفلسفي: «وهذه الحتمية الصارمة التي تحكمت في التفكير العلمي في القرن التاسع عشر اهتزت وتزعزعت في القرن العشرين..، واللاحتمية: اتجاه يرمي إلى نفي الحتمية في الظواهر الطبيعية الأخلاقية؛ فلا يسلم باطراد الصلة بين الظواهر وقوانينها ويفسح المجال للعمل الأخلاقي»[٢].

(١) الوجيز في الفلسفة – م.س- ص١٥٠.

(٢) المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية –م.س- ص٦٧، ص١٥٨.

ولا شك أن القول باللاحتمية يرجح القول بحرية الإرادة على القول بالجبر؛ فإذا «صح مذهب اللاحتمية الذي تفضي إليه نظرية الميكانكيا الموجبة ونظرية الكوانتا الجديدة[١] أمكن القول بالحرية»[٢].

وبيان ذلك أن تعلم أنه بانقضاء القرن التاسع عشر اعترى النظرية العلمية للوجود تغير جذري، بعد أن عجز الفيزيائيون عن فهم فيزياء الجسيمات تحت الذرية في إطار منظومة فيزياء (نيوتن) الحتمية، لذلك بزغت في مدخل القرن العشرين (ميكانيكا الكم والنظرية النسبية) اللتان تبنتا فلسفة جديدة، لقد ثبت أن الحرية التي نفتها فيزياء القرن التاسع عشر قد أصبحت جزءاً من الوجود، بل هي جوهره، لقد أصبح ضرورياً أن ننظر إلى القوانين الطبيعية باعتبارها تحديدات للعالم الاحتمالي واللاحتمي، ولا يزال التنسيق بين لاحتمية الجسيمات الصغيرة وحتمية الأجسام الكبيرة من أكبر ألغاز العلم الحديث، التي يبدو أنه لن يتوصل إلى حل لها[٣].

وهكذا فإن انهيار أحد المعتمدات الأساسية للقول بالجبر –وهو الحتمية– يؤدي إلى هشاشة القول به، ويبقى السؤال: هل العلوم الإنسانية والطبيعية تدعم بالفعل سلب الإنسان حرية الإرادة؟ هذا ما ستتم مناقشته علماً علماً في الوجه التالي:

---

(١) للوقوف على طبيعة هذه النظريات ينظر كتاب: مبادئ ميكانيكا الكم – بول ديراك – ترجمة: محمد أحمد العقر، وعبد الشافي عبادة – ط١: دار كلمات عربية، القاهرة، ٢٠١٠م، وكتاب: مقدمة في ميكانيكا الكم – ب.ت. ماثيوز- ترجمة : أسامة زيد ناجي – ط١: الدار الدولية، مصر.

(٢) المعجم الفلسفي – جميل صليبا – ١/ ٤٤٤،وما بعدها- ط١: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

(٣) ينظر: مبادئ ميكانيكا الكم – بول ديراك – م.س- ص١٧- ٢٠ بتصرف كبير.

الوجه الثالث: مناقشة العلوم التي استند إليه القائلون بالجبر في الفكر الغربي

ذكرنا في مطلع هذا المبحث أن علماء النفس وعلماء المخ والأعصاب والجينات ذهبوا إلى القول بالجبر، معتمدين على المعطيات الحديثة لتلك العلوم، ولكن هل هذا الاعتماد يخلص لهم؟

هذا ما سيتبين جوابه من خلال مناقشة كل علم على حدة؛ مناقشةً توضح مدى صلاحية تلك المعطيات لِأَنْ تكون مستنداً للطرح الفلسفي الذي يقضي على الإنسان بالجبر ويسلبه حرية الاختيار.

أولا: مناقشة علم النفس

أما بالنسبة لعلم النفس فلا يصلح معتمدا للقول بالجبر لما يلي:

- **أولاً: علماء النفس ليسو على كلمة سواء؛**

فهذا (إريش فروم)[1] -وهو من أنصار الفرويدية الحديثة- يقول في كتابه (كينونة الإنسان): «يمتلك الإنسان فقط إماكنية الاختيار بين المضي إلى الأمام أو التقهقر إلى الوراء، هذه الخيارات التي تترجم إلى أفعال محددة هي أدوات نحو نقوص أو نحو تقدم الإنسانية الموجودة فينا...، أعتقد أن الحرية هي القدرة على اتباع صوت العقل والمعرفة في مواجهة صوت المشاعر اللاعقلانية، أي إنها الانعتاق الذي يستخلص

(١) إريك أو إريش فروم: من مواليد ١٩٠٠م، عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أمريكي، من أعماله: الهروب من الحرية، التحليل النفسي والدين، اللغة المنسية، وغيرها، توفي سنة ١٩٨٠م. موقع ويكيبيديا، الرابط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/Erich_Fromm، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/٢٧ م.

الإنسان حرا، ويضعه على طريق استعمال قدرته العقلانية الخاصة، والفهم الموضوعي للعالم، ودوره الخاص فيه»[١].

هذا يعني: أن من علماء النفس من لم يذهب إلى القول بالجبر من الأساس، وكثيراً من الاتجاهات النفسية لا تتنكر لحرية الإرادة.

- **ثانياً: تحقيق النظر في قيمة نتائج العلوم الإنسانية؛**

بما في ذلك علم النفس؛ فنتائج هذه العلوم لا تسمح لنا بأن نعدها في مصاف العلوم بالمعنى الصحيح؛ «إن خصوم العلوم الإنسانية يحتجون بأن الأحوال النفسية أحوال خفية، لا يعرفها إلا أصحابها الذين يتلبسون بها، وبأن الباحث في العلوم الإنسانية لا بد أن يكون متأثراً بأحواله الخاصة سواء كان عالماً نفسياً أو مؤرخاً أو عالماً اجتماعياً، وبأن استعمال المنهج التجريبي فيها أمر صعب مهما حاول العلماء إدخال التقرير الكمي لضبط نتائجها»[٢].

وهذه العلوم تشتمل على مبالغة في قياس الظاهرة الإنسانية على الظاهرة الطبيعية، هذا مع كون الظاهره الإنسانية أبعد الظواهر عن الضبط والتفسير؛ وقد انتقد الفلاسفة «منذ سنة ١٨٩٤م استيراد مناهج العلوم البحتة ونقلها إلى عالم الإنسان، ورأوا أن العلوم الإنسانية تحتاج إلى مناهج أخرى غير قانون السببية الذي تقوم عليه المعارف البحتة»[٣].

والمشاهد أن الإنسان قادر على أن يتحكم في طبعه، ويغير الكثير من عاداته، فيخيب ظن الحتميين النفسيين، ويفسد خطتهم التوقعية، «

(١) كينونة الإنسان - إريش فروم – ترجمة: محمد حبيب- ص١١١ و١١٣ بتصرف كبير- ط١: دار الحوار، سورية، ٢٠١٣م، وانظر أيضا: كتابه: جوهر الإنسان- ترجمة: سلام خير بك- ص١٧٠- ط١: دار الحوار، سورية، ٢٠١١م.

(٢) الوجيز في الفلسفة - محمود يعقوبي – م.س- ص٣١٦.

(٣) الوجود بين السببية والنظام- إلياس بلكا - ص٢٦٨ – ط١: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، ٢٠٠٩م.

بل إنه في الغالب يختار عاداته وفقا لغاية معينة، حتى إذا ما تغيرت هذه الغاية تكيف مع الوضع الجديد، وهذه القدرة على التكيف المتمثل في اختيار نوع من الحلول تبعاً لنوع من الأوضاع وفي استعداد مجاوزة الوضع القائم ولو عن طريق التخيل والاستباق الذهني، تجعلنا نعتقد أن سلطان الغرائز لدى الإنسان ليس كما يتوهمه أنصار الحتمية النفسانية»[1].

فهناك إذن قدرة على التحكم والمضادة والتصرف لدى الإنسان، تدل على حريته، ولا يتنكر لها إلا من يتنكر للواقع البدهي المشاهد.

- **ثالثاً: التغيير في الحالات النفسية وعلاجها يدعم حرية الإرادة على حساب الجبر؛**

فجبرية التحليل النفسي جبرية يمكن تغييرها والتحكم فيها، «وهي كقدرية العلم الطبيعي؛ إذ يصف لنا الحالة التي تكون عليها قطعة الحديد إذا رُفعت درجة حرارتها إلى درجة معينة، فهي قدرية تَستجمِع مصيرها من الظروف التي مرَّت بها، ومن المواقف التي تجدُّ عليها، وكما أن في مقدورنا إذا توصلنا إلى علة التمدُّد أو الانصهار لقطعة الحديد وإلى التحكُّم في هذه العلة إلى أن نغيِّر من الحالة التي تُصبح فيها، فكذلك في مقدورنا وقد عرفنا القوى الأساسية التي تعمل في نفس الإنسان، في مقدورنا أن نرى الطريق إلى تخليصه من مساوئه، وإلى الاتجاه به في الطريق القويم»[2].

ولا شك أن العلاج النفسي دليل على إمكان ذلك التغيير؛ «فالتحليل النفسي يُعالج الأفراد، والعلاج معناه في الواقع إعادة النسيج النفسي إلى

(١) الوجيز في الفلسفة –م.س- ص ١٥١.

(٢) مباديء التحليل النفسي - محمد فؤاد جلال- ص٦٠- ط١: مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحة، ٢٠١٧م.

صورة سوية بعد أن كان مملوءًا بالعُقد، أو بعبارة أخرى هو نوع من التدخُّل في تاريخ الشخص، فنحن إذ نُخضعه لموقف التحليل إنما نُعيده إلى حالة الطفولة الأولى، ونبدأ في أن نحلَّ العُقد التي تكونت في ذلك العهد السحيق، وبهذا المعنى فنحن نغيِّر تاريخه، وبذلك نؤثر في مصيره»[١].

من خلال ما سبق يتبين أن: علماء النفس ليسوا في مسألة حرية الإرادة على كلمة سواء، وأن استعمال المنهج التجريبي في التعامل مع الظاهرة الإنسانية محل انتقاد واسع، كما أن قدرة الإنسان على التتكيف والتغيير والعلاج تدعم حريته على حساب جبره.

ثانيًا: مناقشة علم المخ والأعصاب

أما بالنسبة لتأثير علم المخ والأعصاب على القول بالجبر فيمكن مناقشته على النحو التالي:

- **أولاً: تجربة (ليبيت) لم تسلم من النقد والمعارضة.**

نعم لقد وجدت تجربة (ليبيت) أنصارا لها في الواقع الغربي ينتزعون منها القول بالجبر، إلا أنه و«على الجانب الآخر، يقف توجه لا يقل عن المذكور قوة، بل لعله يفوقه، يرى هذا التوجه أن العلم الحديث لم ينف حرية الإرادة مثلما أشيع، ويعد (ألفريد ريمن ميلي) – أستاذ الفلسفة بجامعة ولاية فلوريدا– من بين أعلامه البارزين.

ولمزيد من التبسيط والمباشرة، حوَّل (ميلي) تجربة (ليبيت) ومزاعمه إلى محاجة منطقية تقليدية، من مقدمات ونتائج؛ فقال:

(١) المرجع السابق نفسه- ص٦٠.

١- لم يتخذ المشاركون في تجارب (ليبيت) قرارًا واعيًا بالحركة، (بل يصدر القرار من اللاوعي، قبل الحركة بنحو نصف ثانية، ولا يصل صدى القرار إلى الوعي إلا بعد مرور نحو ثلث ثانية).

٢- نستنتج من (١) أن الناس لا تتخذ أي قرارات واعية.

٣- لا يعد القرار حرًّا إلا باتخاذه عن وعي.

٤- نستنتج من (٢) و(٣) عدم وجود أي قرارات حرة.

لكن هل تسلم أي من المقدمات الثلاث من النقد؟

- فيما يخص الأولى، لا يوجد دليل واحد على أن القرار يتخذ بالفعل قبل الحركة بنصف ثانية، بل هناك من الأدلة العلمية ما يتعارض مع ذلك.
- كما أن التعميم في الثانية غير مبرر، فقد أهمل نوعاً آخر من القرارات، يلعب دورًا مهمًا في الحياة اليومية، وهو القرار الذي نتخذه بتروٍ، ونوازن قبله بين الإيجابيات والسلبيات والمكسب والخسارة، هذا قرار يختلف كلية عن تحريك الرسغ.
- أما عن المقدمة الثالثة، فما يمنع أن يسفر التفكير الواعي عن قرار يتأخر إدراكنا له أجزاء بسيطة من الثانية؟»[١].

وهكذا ترى أن تعميمات وتأويلات (ليبيت) لا تستند إلى أدلة علمية مؤكدة، وأن موقف العماء من التجربة ليس على حد سواء، ولا شك أن

(١) ينظر: مقال بعنوان «العلم ينفي حرية الإرادة»: حقيقة أم وهم؟ - موقع إضاءات، الرابط التالي: https://www.ida2at.com/why-science-hasnt-disproved-free-will/ تاريخ الاقتباس ٢٠٢٢/٥/٨م، ويتضمن المقال تعريفا بألفريد ميلي وهو: أستاذ الفلسفة بجامعة ولاية فلوريدا، تولى إدارة مشروع «أسئلة كبرى حول حرية الإرادة» (Big Questions in Free Will Project) المدعوم من مؤسسة جون تمبلتون، خلال سنواته الأربع، كتب نحو مائتي مقالة وعشرة كتب، تدور أكثرها في فلك قضية حرية الإرادة، من أهمها كتاب «حُرٌّ: لماذا لم ينف العلم حرية الإرادة»، الصادر عن دار نشر جامعة أكسفورد.

هذا الاحتمال الناتج عن اختلاف العلماء في قبولها ورفضها يسقط الاستدلال بها في المسألة محل الخلاف والنقاش.

- **ثانياً: وجود الحالات المرضية يؤكد تمتع الأسوياء بحرية الإرادة،**

فأنت إذا تأملت الأمراض المتعلقة بالمخ والأعصاب من نحو: الفصام والوسواس القهري والاكتئاب[١] وغيرها وجدت أنها تفرض على أصحابها وضعاً حتمياً، لا يستطيعون منه فكاكاً، هذا الوضع الحتمي منتف في حق كل إنسان صحيح لم يصب بمثل هذه الأمراض، وهذا في حد ذاته حجة للقول بحرية الإرادة الإنسانية على حساب القول بالجبر.

ثالثاً: مناقشة علم الجينات

أما بالنسبة لتأثير علم الجينات على القول بالجبر فمناقشته على النحو التالي:

- **أولاً: ليست الجينات وحدها هي المنفردة بالتأثير على تصرفات الإنسان وخياراته،**

فإذا كان للجينات تأثير فإنه تأثير لا يلغي أبدا التأثير الكبير لكل من البيئة والتعليم والتنشئة؛ نعم «إن الجينات هامة، ولكنها ليست الأشياء الوحيدة التي تجعلك على ما أنت عليه؛ فالأشخاص يتأثرون بالبيئة المحيطة بهم، وبالطريقة التي يحيون بها، وعلى سبيل المثال: من الممكن أن تجعل الجينات شخصاً ما طويلاً، ولكن النظام الغذائي الصحي يجعل الأشخاص طوالاً أيضاً[٢]، وهناك جينات تتيح للمرء أن يكون موسيقيا،

(١) للوقوف على طبيعة هذه الأمراض يراجع كتاب: الأمراض النفسية الشائعة أسبابها وكيفية علاجها – أحمد عوض – ص٥٠، ٦٨، ٧٩- ط١: وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠١٥م.

(٢) الثابت علميا أن للغذاء دور في طول القامة وقصرها؛ يراجع ذلك على موقع صحتك، الرابط التالي: https://cutt.us/iFEkl ، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/٦/٦م.

ولكن على الرغم من ذلك يجب أن تتعلم العزف، والعديد من الصفات المماثلة هي عبارة عن خليط من الطبيعة (الجينات) والتنشئة (التعليم والتربية)..، مهما كانت جيناتك فإن للتنشئة –أي أسلوب الحياة وطريقة التربية– أيضاً تأثيراً هائلاً على هويتك وما الذي تستطيع أن تفعله، وللنظام الغذائي والرياضة والتعليم على الأقل نفس أهمية جيناتك في بلوغ النجاح والسعادة»(١).

كأن الأمر مقسوم بين الجينات والتربية؛ فالجينات تحدد الاستعداد الوراثي، أما التربية فتحدد نوع السلوك؛ «وعلى سبيل المثال: قد يرث طفلان من والديهما جينات تدفع للسلوك العدواني، ثم يأتي دور التنشئة والسلوك، فيستخدم أحدهما عدوانيته؛ ليكون بطلاً في المصارعة أو جرَّاحاً، بينما ينشأ الآخر ليكون زعيم عصابة»(٢).

أما عن كيفية تغير الجينات بفعل التأثير البيئي فهذا راجع إلى «الطبيعة المرنة لأدمغتنا وقدرتها على التغيُّر والتأقلم، فكلما تعلمنا مهارةً أو فكرةً جديدة، تتشكل روابط جديدة بين خلايانا العصبية، ومع ممارسة هذه المهارة، تزداد قوة الروابط وكفاءتها، حتى تتحول إلى ذكرى قوية تندمج في الذاكرة، وكلما تواتر استدعاء هذه الذكرى، ازدادت قوة الروابط العصبية فتصبح هذه الروابط هي الطريق الأساسي لمرور السيالات العصبية في الدماغ، أي أن هذا السلوك المكتسب أصبح عادةً وسلوكًا طبيعيًا»(٣).

- **ثانياً: القدرة على تغيير البنية الجينية**

لقد أصبح في مقدور العلم اليوم أن يغير في البنية الجينية؛ ما يعني قدراً أكبر من الحرية؛ فعلماء البيولوجيا يفتحون بأبحاثهم الحديثة

(١) مقدمة عن الجينات والحمض النووي – م.س- ص٢١ ، وص٤٩.
(٢) أنا تتحدث عن نفسها- عمرو شريف - ص٩١- ط١: مكتبة الشروق الدولية مصر٢٠١٣م
(٣) موقع: أنا أصدق العلم، على الرابط التالي: https://www.ibelieveinsci.com/?p=93860، المقال ترجمة: يونس الجنيدي، وتاريخ الاقتباس ٢٠٢٢/٣/٢٨م.

الباب لحرية الإرادة؛ حيث أصبح في مقدرة العلم أن يغير من صفات الإنسان بتعديل بنيته الجينية، ما يعني أننا أصبحنا قادرين على أن نتحكم في جيناتنا، وهذا يعني: **قدراً أكبر من الحرية على حساب الجبر** [١].

- **ثالثاً: تقلص دور الجينات من الجهة العلمية:**

فقد توقف دور الجينات – علمياً– عند توجيه بناء الخلايا والأنسجة والأعضاء؛ الأمر الذي يعني انهيار الحتمية الجينية، وأن الإنسان سيد مصيره؛

يقول الكاتب والأحيائي الأمريكي دكتور (بروس ليبتون)[٢] –: «لقد تكشف للعلم الحديث منذ العقد الأخير من القرن العشرين معارف قلبت الكثير من مفاهيمنا البيلوجية التقليدية رأسا على عقب؛ فلقد ثبت أن وعي الخلية بما حولها وبما في داخلها هو المتحكم الأول في حياة الخلية، وبذلك وقف دور الجينات الأساسي عند توجيه بناء الخلايا والأنسجة والأعضاء...، لقد تبين أن الخلية تستطيع الحياة بدون نواتها، أي بدون جيناتها مدة شهرين، ما يعني أن المحرك الأساس والقلب النابض للخلية ليس هو النواة..، بل المكون الذي يمكن نسبة مهام المخ إليه في الخلية هو: **غشاؤها، وليس الدنا** [أي: الحمض النووي]، وبذلك انهارت الحتمية

---

(١) ينظر: ما الجينات؟- شارل أوفراي –ترجمة: عبد الهادي الإدريسي – ص٣١- ٣٨ بتصرف كبير- ط١: دار كلمة، الإمارات، ٢٠١٢م.

(٢) بروس ليبتون: كاتب وأحيائي أمريكي، ولد في:1944م، وهو رائد معترف به دوليًا في ربط الجسور بين العلم والروح، مؤلف الكتاب الأكثر مبيعًا (في علم الأحياء من الإيمان) وحاصل على جائزة Goi Peace لعام ٢٠٠٩م، وهو ضيف متحدث في مئات البرامج التلفزيونية والإذاعية. موسوعة عربق، الرابط التالي: https://cutt.us/xW7PJ ، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٢/١١/٢٧م.

الجينية تمام الانهيار، وهو الأمر الذي يجعل مصير حياتنا في أيدينا، ومن ثم فنحن سادة مصائرنا، ولسنا ضحايا لجيناتنا»[1].

وبعد، فقد تبين من خلال هذا العرض الموجز أن العلوم التي يدَّعي أنصارُ الجبرية أنها داعمة لمذهبهم في الجبر، لا تسعفهم، أو هي على أقل تقدير تقف محايدة؛ يمكن للجبريين أن يستدلوا بها، كما يمكن للقائلين بالحرية أن يعتمدوا عليها.

وهذا الاحتمال يسقط الاستدلال، فيتحتم أن نبحث عن مصدر آخر، يضع بين أيدينا تصورا كاملا لمسألة حرية الإرادة، ولا أرى هذا المصدر إلا الوحي الإلهي المعصوم، وقد مرَّ في المبحث الأول كيف قال وكيف قرر، والحمد لله رب العالمين.

(١) نقلا عن: أنا تتحدث عن نفسها- م.س- ص ١٠٩- ١٢٠ بتصرف كبير.

الخاتمة

بعد أن مَنَّ الله تعالى على الباحث بإتمام كتابة هذه الورقات اليسيرة، استخلص منها عدداً من النتائج، وقد انبثق عن تلك النتائج عددٌ من التوصيات، ويمكن عرض هذه النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج:

١- مسألة القدر من أعقد المسائل الدينية والفلسفية، وجانب التسليم والإيمان فيها يحل كثيرا من مشكلاتها.

٢- الإيمان بالقدر يقتضي التسليم لعموم المشيئة الربانية مع عدم التملص من المسؤولية؛ والأول قاض به عموم النصوص القرآنية ومقتضى الألوهية، والثاني قاض به –مع النصوص– الواقعُ البدهيَ ُ المشاهد.

٣- أحد أهم أسباب الضلال في مسألة القدر هو: التمسك ببعض آيات الكتاب دون البعض، أما أهل السنة فقد أعملوا النصوص جميعها وقالوا بمقتضها فجاء مذهبهم وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط.

٤- أعدل الأقول في مسألة حرية الإرادة: أن الاختيار مسألة شعور تتعلق بعالم الشهادة، وأما الجبر فمسألة إيمان تتعلق بعالم الغيب؛ وفرقٌ كبيرٌ بين الجبر العقلي من جهة، والحرية الحسية من جهة أخرى.

٥- الموقف الغربي القائل بالجبر مثير للدهشة؛ لأن الغربيين كانوا يوماً ما يعزون تأخر الشرق والمسلمين إلى قولهم بالجبر، فإذا بهم اليوم يتبنون القول بالجبر ويدعمونه بمقررات علومهم.

٦- العلة الحقيقية وراء قول كثير من مفكري الغرب بالجبر ليس لأن هذا ما يمليه العلم فحسب؛ بل أسباب أخرى هي الأكثر منطقية لهذا

الطرح؛ ومنها: إبطال الأديان وتسويغ الإلحاد، والنجاة من عذاب الضمير، وتسكين الشرور والآلام.

٧- العلوم الحديثة -بشهادة المتخصصين- لا تدعم الجبر كما ادعي بعض فلاسفة الغرب، بل هي تدعم حرية الإرادة في قول الأكثرين.

٨- العلوم الحديثة إن لم تكن تدعم الحرية فإنها على أقل تقدير تقف محايدة، لا تدعم حرية ولا جبراً، وإذا كان الأمر كذلك عدنا مضطرين إلى النظر في الوحي المعصوم؛ لاستخراج المذهب المرضي في المسألة.

٩- لو سلمنا جدلا بأن العلم الحديث يقضي بالجبر ويدعمه، فغاية ما يمكن أن يدعمه -بناء على ما مر تقريره- هو الجبر الفلسفي المنتمي إلى عالم الغيب، لا الحرية الحسية المشاهدة بداهة، والتي ينبني عليها مسؤوليته العبد، وتنزه الرب عن الظلم والجور.

ثانياً: أهم التوصيات:

١- ضرورة الوقوف على منجزات العلوم الحديثة، وآثارها الفلسفية.

٢- ضرورة إخضاع القضايا العقدية المتأثرة بمعطيات العلم التجريبي لمزيد من البحث والدرس؛ تحصينا للعقول، وصيانة للأجيال.

٣- ضرورة الاستفادة القصوى من الأطروحات العلمية التجريبية التي تدعم الوحي والإيمان.

٤- التنسيق بين كليات الجامعة الشرعية والعملية لمواجهة الشبهات التي تتذرع بالعلوم الطبيعية لهدم المفاهيم والدينية.

٥- ضرورة إحكام مسائل الدين من الجهة الشرعية قبل النقاش العلمي، فذلك من الأهمية بمكان في جعل النقاش مثمرا وبنائا.

والله العلي القدير أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الأعمال الصالحة يوم القيامة، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- القرآن الكريم
- السنة النبوية المطهرة

١- DNA وأسرار لا تنتهي – آن فولك- ترجمة: حمزة الشبكة- ط: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١١م.

٢- الإرادة الحرة – توماس بينك- ترجمة: ياسر حسن – ط١: مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٥م.

٣- الأعلام – خير الدين الزركلي- ط١٥: دار العلم للملايين.

٤- الإلحاد في مواجهة نفسه – سامي عامري – ط١: رواسخ، الكويت، ٢٠٢١م.

٥- الإلحاد مشكلة نفسية –عمرو شريف- ط٢: نيو بوك، مصر،٢٠١٦م.

٦- الإمام النووي – عبد الغني الدقر – ط٤: دار القلم دمشق ١٩٩٤م.

٧- الإمتاع والمؤانسة- أبو حيان التوحيدي- تحقيق: أحمد الأمين وأحمد الزين – ط١: دارمكتبة الحياة ،مصر.

٨- الأمراض النفسية الشائعة أسبابها وكيفية علاجها – أحمد عوض – ط١: وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠١٥م.

٩- أنا تتحدث عن نفسها- عمرو شريف – ط١: مكتبة الشروق الدولية مصر ٢٠١٣م

١٠- الأنا والهو – سيجموند فرويد – ترجمة: محمد عثمان نجاتي- ط٤: دار الشروق، مصر، ١٩٨٢م.

١١- باروخ اسبينوزا – كامل محمد عويضة – ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م

١٢- براهين وجود الله – سامي عامري – ط١:دار تكوين، لندن، ٢٠١٨م.

١٣- تاريخ الفكر الغربي – غنار سكيربك و نلز غيلجي – ترجمة : د حيدر إسماعيل – ط١: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م.

١٤- تاريخ الفلسفة الغربية – برتراند رسل- ترجمة: محمد فتحي الشنيطي- ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٥- تاريخ علم النفس ومدارسه –محمد شحاتة ربيع –ط١: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٦- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد –إبراهيم الباجوري – ص ١٢٧- ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٧- جوهر الإنسان- ترجمة: سلام خير بك- ط١: دار الحوار، سورية، ٢٠١١م.

١٨- الحرية والقدر في الفكر الأمريكي – بول بولر- ترجمة: إسماعيل كشميري، ونور الدين الزراري – ط: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

١٩- رسالة التوحيد – الإمام محمد عبده – تحقيق: د محمد عمارة – ط١: دارالشروق، مصر، ١٩٩٤م.

٢٠- شرح جوهرة التوحيد- العلامة إبراهيم الباجوري – تحقيق: عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني- ط: دمشق ١٣٩١.

٢١- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد –أحمد محمد الصاوي- تحقيق: عبد الفتاح البزم- ط٢: دار ابن كثير، ١٩٩٩م.

٢٢- شرح المقاصد – الإمام سعد الدين التفتازاني- تحقيق : عبد الرحمن عميرة – ط٢: عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٣- طبقات الشافعية الكبرى – تاج الدين السبكي– تحقيق: محمود محمد الطناحي – ط٢: دار هجر، السعودية، ١٤١٣هـ.

٢٤- علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق– رسل لوف ، ووندا ويب– ترجمة: محمد زياد كبة– ط: النشر العلمي والمطابع، السعودية، ٢٠١٠م.

٢٥- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة – عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني –– ط٢: دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩م.

٢٦- كبرى اليقينيات الكونية – د محمد سعيد البوطي – ط٨: دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٧م.

٢٧- كينونة الإنسان – إريش فروم – ترجمة: محمد حبيب– ط١: دار الحوار، سورية، ٢٠١٣م.

٢٨- ما الإنسان – مارك توين – تعريب: أنور عمر – ط١: سلسلة الفكر الحديث، ٢٠٠٥م.

٢٩- ما الجينات؟– شارل أوفراي –ترجمة: عبد الهادي الإدريسي – ط١: دار كلمة، الإمارات، ٢٠١٢م.

٣٠- مارك توين سيرة ذاتية– مارك توين – ترجمة: سعيد رضوان حران –ط١: دار كلمة، أبو ظبي، ٢٠١٤م.

٣١- مباحث في الفهامة البشرية – ديفد هيوم – ترجمة: موسى وهبة – ط١: دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م

٣٢- مبادئ التحليل النفسي – محمد فؤاد جلال– ط١: موسسة هنداوي ، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.

٣٣- مبادئ التحليل النفسي –محمد فؤاد جلال- ط١: موسسة هنداوي، مصر ٢٠١٧م.

٣٤- مبادئ ميكانيكا الكم – بول ديراك – ترجمة: محمد أحمد العقر، وعبد الشافي عبادة – ط١: دار كلمات عربية، القاهرة، ٢٠١٠م.

٣٥- المخ البشري – كرستين تمبل – ترجمة: عاطف أحمد – ط: مطابع السياسة الكويت ٢٠٠٢م.

٣٦- المخ الجديد– ريستاك ريتشارد- ترجمة: عزة هاشم أحمد – ط: مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٣٧- معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي – ط٣: دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٨- المعجم الفلسفي – جميل صليبا – ط١: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٩- المعجم الفلسفي – مصطفى حسيبة –ط١: دار أسامة ، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤٠- المعجم الفلسفي- مجمع اللغة العربية – ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، ١٩٨٣م.

٤١- معجم علم النفس والتحليل النفسي– فرج عبد القادر طه وآخرون – ط١: دار النهضة العربية، بيروت.

٤٢- معجم مصطلحات علم النفس –منير وهبة الخازن –ط: دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٦م

٤٣- مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين – محمد عمارة – ص٣٣-٣٧- ط١: مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٩م

٤٤- مقدمة عن الجينات والحمض النووي- آنا كلاييورن- ترجمة د. ليلي سعدو- ط١: نهضة مصر، ٢٠٠٧م.

٤٥- مقدمة في ميكانيكا الكم - ب.ت. ماثيوز- ترجمة : أسامة زيد ناجي - ط١: الدار الدولية، مصر.

٤٦- مناهج الأدلة في عقائد الملة - ابن رشد - تحقيق: محمود قاسم- ط٢: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٤٧- المنطق - محمد رضا المظفر- ط٣: دار التعارف، ٢٠٠٦م.

٤٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - الإمام النووي - ط٢: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٤٩- المواهب اللدنية في شرح المقدمات السنوسية - أبو إسحاق السرقسطي- ط١: دار كشيدة، مصر، ٢٠١٥م.

٥٠- موسوعة الفلسفة - عبد الرحمن بدوي - ط١: المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٤م

٥١- موسوعة مشاهير العالم - نبيل موسى - ط١: دار الصداقة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥٢- موقف البشر تحت سلطان القدر- الشيخ مصطفى صبري - ط١: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

٥٣- الوجود بين السببية والنظام- إلياس بلكا - ط١: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، ٢٠٠٩م.

٥٤- الوجيز في الفلسفة - محمود يعقوبي - ط: المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ١٩٨٤م.

٥٥- الوعي - آناكا هاريس - ترجمة : أحمد هنداوي - ط١: مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٢٢م.

٥٦- الوعي – سوزان بلاكمور- ترجمة: مصطفى محمد فؤاد – ط١: مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٦م.

٥٧- River Out of Eden: A Darwinian View of Life – Richard Dawkins – pp: 133-London, 1995.

٥٨- free will- Sam Harris- pp: 17- Free press, New York, 2012.

- **مواقع الشبكة العنكبوتية :**

١- موقع Scientific American: https://www.scientificamerican.com/

٢- موقع إضاءات: https://www.ida2at.com

٣- موقع الحافة: https://www.edge.org

٤- موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki9

٥- موقع أنا أصدق العلم : https://www.ibelieveinsci.com0

٦- موقع صحتك : https://www.sehatok.com

٧- موقع مجلة كوزموس : https://cosmosmagazine.com

٨- موقع موسوعة عريق: https://cutt.us/xW7PJ

٩- موقع هنداوي: https://www.hindawi.org

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	**ملخص البحث**	١٥٥٥
٢	**المقدمة**	١٥٥٩
٣	**المبحث الأول : تحرير القول في مسألة حرية الإرادة الإنسانية**	١٥٥٧
٤	المطلب الأول : بيان اختلاف الناس في مسألة حرية الإرادة الإنسانية	١٥٧٠
٥	المطلب الثاني: أعدل الأقوال في مسألة حرية الإرادة الإنسانية	١٥٧٥
٦	المطلب الثالث: نظرة تحليلية في نصوص القدر الواردة في القرآن الكريم	١٥٨٥
٧	**المبحث الثاني : حرية الإرادة الإنسانية في ضوء العلوم الحديثة**	١٥٨٩
٨	المطلب الأول: أبرز العلوم الحديثة المؤثرة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية	١٥٩٤
٩	المطلب الثاني: مناقشة ما انتهت إليه بعض العلوم الحديثة في مسألة حرية الإرادة الإنسانية	١٦٠١
١٠	**الخاتمة**	١٦١٧
١١	**المراجع**	١٦٢٠
١٢	**الفهرس**	١٦٢٦

رابعاً

قسم العقيدة